العدد 10، أغسطس 2018، السنة الثانية
مجلة تعنى بالتراث الثقافي
مـعـهـد الـشـارقـة لـلـتـراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

مَرَاوِد

عام زايد

ملف الشهر

تقاليد الحج في التراث الإماراتي .. حكايات وذكريات

الشارقة ضيف شرف معرض ساو باولو الدولي للكتاب

عبدالعزيز المسلّم يوقّع النسخة البرتغالية لـ «الكائنات الخرافية»

عوشة بنت خليفة «في ذمة الله»

زايـد في الفيلم الوثائقي العالمي

متحدون مع التراث UNITE4HERITAGE

MARAWED Issue, 10 (AUG 2018), The Second Year

MARAWED

YEAR OF ZAYED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

Issue, 10 (AUG 2018) The Second Year
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE
مـعـهـد الـشـارقـة لـلـتـراث

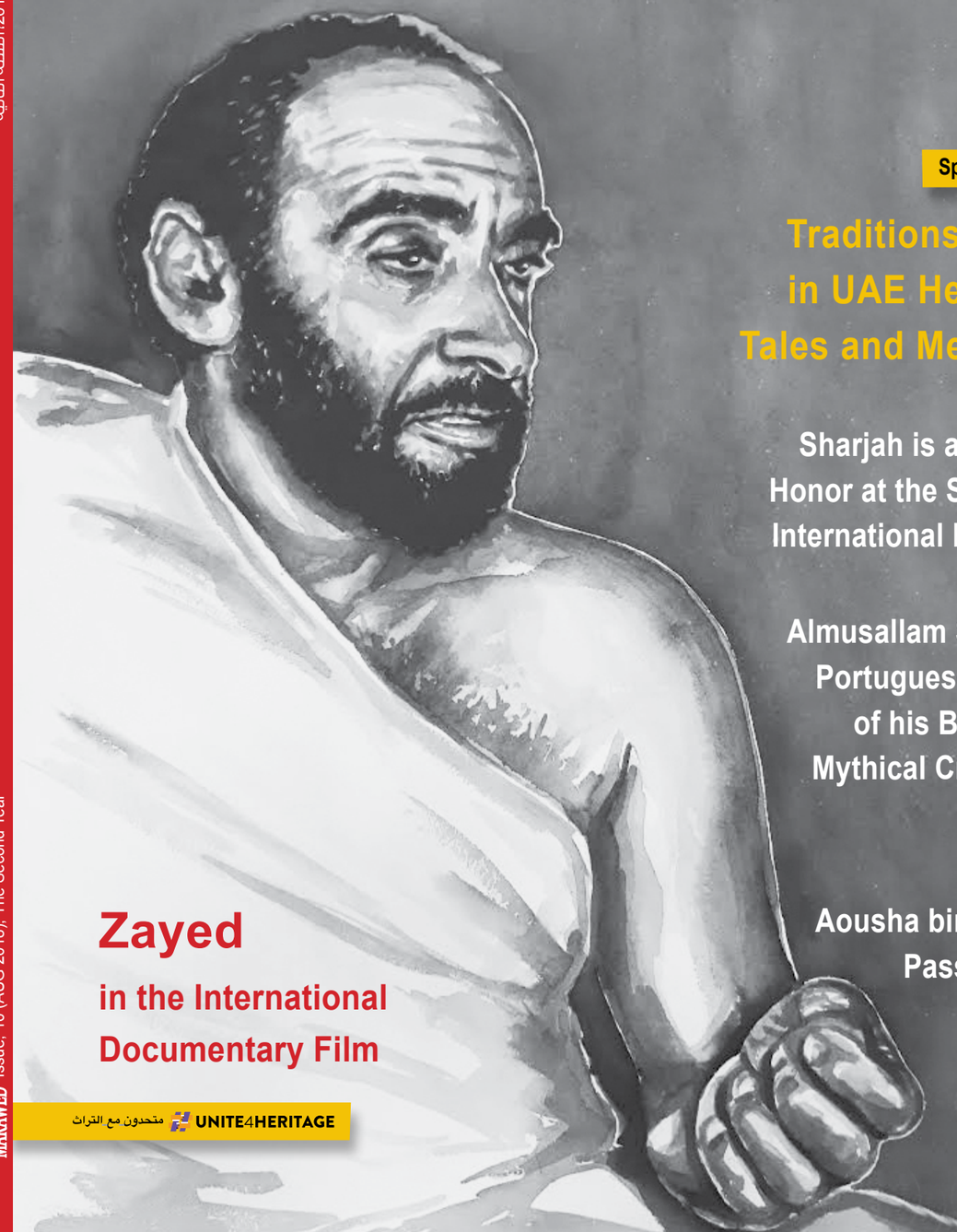

Special Report:

Traditions of Hajj in UAE Heritage.. Tales and Memories

Sharjah is a Guest of Honor at the Sao Paulo International Book Fair

Almusallam Signs the Portuguese Version of his Book «The Mythical Creatures»

Aousha bint Khalifa Passed Away

Zayed in the International Documentary Film

متحدون مع التراث UNITE4HERITAGE

مُرَاوِد

تقاليد الحج في التراث الإماراتي

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

للحج في الذاكرة العربية عادات وطقوس خالدة، توارثتها المجتمعات منذ قديم الزمان، وعبّرت من خلالها عن مدى تقديسها هذه الشعيرة الإسلامية القيّمة، وتمسّكها بها، وحرصها على أدائها، رغم كل المخاطر والعقبات التي كانت تعترض الحجاج، بسبب وعورة الطريق، والمخاوف التي كانت تصاحب الرحلة، وقد نسجت الذاكرة الشعبية الكثير من الطقوس التي درجت عليها المجتمعات، وتناقلتها جيلاً بعد جيل، بدءاً بالتحضير للحج، وشراء المستلزمات الضرورية من ملابس الإحرام وغيرها، ثم وداع الأهل والأقارب، والاستعداد للرحلة الحجية.

في هذا العدد أفردنا ملفاً خاصاً عن تقاليد الحج في التراث الإماراتي.. حكايات وذكريات، استعرضنا فيه طقوس الحج وتقاليده، وما كان يصاحبه من ممارسات ثقافية لاتزال عالقة في أذهان المجتمع الإماراتي إلى اليوم، وحاولنا تقديم صورة متكاملة وشاملة عن هذا الموضوع الشائق، والذي نعيش هذه الفترة أجواءه الحانية، على أصداء التكبير والتهليل.

واستعرضنا في هذا العدد أخباراً ومتابعات لأنشطة معهد الشارقة للتراث خلال الفترة الماضية، مبرزين دورها في الإسهام في التعريف بالمعهد ودوره الريادي في نشر التراث، والتعريف به على أوسع نطاق، وتوقفنا عند مشاركة المعهد ضمن وفد الشارقة في معرض ساو باولو الدولي للكتاب في نسخته الـ25، التي انعقدت خلال شهر أغسطس الجاري، حيث حلّت الشارقة ضيف شرف مميزاً على المعرض.

وتابعنا في هذا العدد الاحتفاء بشخصية المغفور له، بإذن الله تعالى، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، ضمن باب أعلام وأبيات، من خلال استعراض قراءة في قصيدة «مرحبا يا هلا حي بالشهامة»، غاصت في أعماق المفردة الشعرية، والمحسّنات البديعية، والصور الفنية، واللغة الشفافة الحانية.

وتناول العدد قصيدة «آه قلبي له بشاشاتي» للشاعر الإماراتي محمد المطروشي، والتي غنّاها الفنان الإماراتي الراحل حارب حسن، وخلدت بألحانها وأشجانها في الذاكرة الشعبية الإماراتية، وذلك ضمن باب «حرف وعزف»، عازفاً على جمال الحرف، وروعة العزف، ومبحراً مع التراكيب اللغوية والعروضية، التي أبانت عن جمالية متفردة للقصيدة، وما أضفاه اللحن عليها من رقة وعذوبة.

واستعرضنا في العدد «عَيّالة العين»، وهي فن مشهور من الفنون الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة، يُشبهُ إلى حَدٍّ ما فن العَيّالة البحريّة، أو عيّالة أهل الساحل التي تحدثنا عنها في مقالةٍ سابقة، لكنهما يختلفان اختلافاً كبيراً من حيث الأداء والإيقاع.

وقد شمل العدد مجموعة من الموضوعات الثقافية والتراثية الغنية، التي أضفت عليه صبغة مميزة، من بينها دراسة بعنوان: الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في الفيلم الوثائقي العالمي، عرض لديوان «زايد»، لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، دراسة في تجربة الشاعرة الإماراتية الرائدة الراحلة عوشة بنت خليفة السويدي، رحمها الله، سوالف الهامور، المقيظ رحلة الهرب من الحر، تجليات التراث اليمني في الفن، تراث السلف في عيون الشيخ زايد، الراوي سعيد الصوايه.. ذاكرة ما قبل قيام الاتحاد، الحايك: رمز لجمال المرأة المغربية وعفتها، البخور في التراث العربي، مسجد البكيرية في صنعاء من روائع العمارة العثمانية في اليمن.

كما شملت أبواب العدد العديد من الموضوعات التراثية والثقافية المهمة، وبخاصة ما يتعلق منها بالتراث الإماراتي الذي يفوح منه عبق الأصالة الفوّاح، ويرمز إلى العراقة والرقي، والتواصل بين الماضي والحاضر، ويعبّر بجلاء عن مدى تمسّك الإنسان الإماراتي بتراث آبائه وأجداده، وتواصله معه، وانفتاحه على التجارب الأخرى المفيدة للنهل من معينها الزاخر.

تصميم الإعلان: أمنة آل علي

محتويات العدد

الشارقة ضيف شرف معرض ساو باولو الدولي للكتاب

10

ملف الشهر
تقاليد الحج في التراث الإماراتي.. حكايات وذكريات

22

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في الفيلم الوثائقي العالمي

72

تراث السلف في عيون الشيخ زايد

96

5
الافتتاحية

13
مشاركات دولية متميزة لـ «الشارقة للتراث»

18
المسلّم يوقّع النسخة البرتغالية من «موسوعة الكائنات الخرافية»

48
شجرة اللوز .. فاكهة الصيف

50
قصائد «عام زايد» عتيج القبيسي

52
«آه قلبي له بشاشاتي» علي العبدان

20
أحمد مرسي.. رائد التراث

46
صيفي ممتع بالقراءة

47
مهرجان ليوا للرطب

54
«عَيّالة العين» علي العشر

56
البخور في التراث العربي صلاح الشهاوي

62
سوالف الهامور عبدالله خلفان الهامور

64
المقيظ..
رحلة الهرب من الحرّ

68
لباس «الحَايُكْ» رمز لجمال
المرأة المغربية وعفتها

78
ديوان «زايد»
يحتفي بمآثر الشيخ زايد

82
الشاعرة عوشة بنت خليفة
السويدي في ذمة اللّه

88
تجليات التراث اليمني
في الفن

91
فرحة عيد

92
«تـازوطا»
المعمار والتراث الإنساني

101
ميزان الكتب

102
سعيد الصواية..
ذاكرة ما قبل قيام الاتحاد

104
مرافئ

106
مسجد البُكيرية بصنعاء

112
شرفة

مـرَاوِد

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مدير التحرير
د. منّي بونعامة
مدير إدارة المحتوى والنشر

الهيئة الاستشارية
عتيج القبيسي
علي العبدان
د. محمد الملوكي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

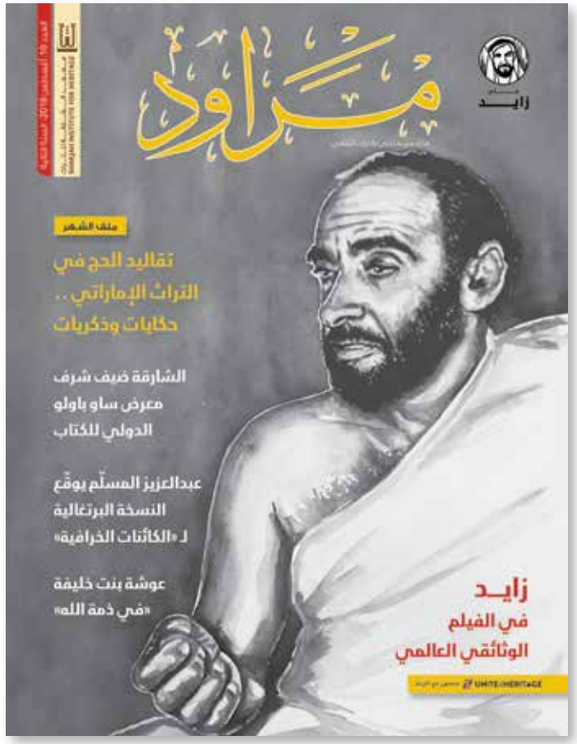

مجلة منوعة
تعنى بالتراث الثقافي
تصدر عن

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

مشاركات متنوعة وإصدارات غنية

الشارقة ضيف شرف معرض ساو باولو الدولي للكتاب

جناح الشارقة في المعرض

وسط حشد من الشخصيات الدبلوماسية وممثلي المؤسسات والهيئات الثقافية البرازيلية، والمثقفين والكتّاب، احتفلت الدورة الـ25 من معرض ساو باولو الدولي للكتاب، باختيار إمارة الشارقة ضيف الشرف الأول في تاريخ الحدث، وتحدث في حفل افتتاح المعرض، الذي أقيم على أرض المعارض بمدينة ساو باولو، الشيخ فاهم بن سلطان القاسمي، رئيس دائرة العلاقات الحكومية في الشارقة، رئيس وفد الشارقة المشارك في المعرض، وعميد المدينة برونو كوفاس، ووزير الثقافة البرازيلي سيرجو سا ليتاو، ورئيس الغرفة البرازيلية للكتاب لويس توريللي، والسيدة الأولى لوسيا فرانسا، بحضور إبراهيم العلوي، القنصل العام لدولة الإمارات العربية المتحدة في ساو باولو. وضم وفد الإمارات والشارقة كلاً من: سعادة

أحمد العامري، رئيس هيئة الشارقة للكتاب، وسعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، وسعادة عبدالله العويس، رئيس دائرة الثقافة بالشارقة، وسعادة حبيب الصايغ، الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب رئيس مجلس إدارة اتحاد كتّاب وأدباء الإمارات، وسعادة علي المري، رئيس دارة سلطان القاسمي، والشيخة هند بنت ماجد القاسمي، رئيسة مجلس سيدات أعمال الشارقة بالوكالة، ومروة عبيد العقروبي، رئيسة المجلس الإماراتي لكتب اليافعين، وراشد الكوس، المدير التنفيذي لجمعية الناشرين الإماراتيين، وريم بن كرم، مديرة مؤسسة نماء للارتقاء بالمرأة، وإرم مظهر علوي، مستشار أول في المكتب التنفيذي لسمو الشيخة جواهر القاسمي، ونخبة من الكتّاب والأدباء والناشرين الإماراتيين.

وافتتحت السيدة الأولى لولاية ساو باولو لوسيا فرانسا، ومدير الدائرة الثقافية للمدينة روميلدو كامبيلدو، ولويس توريللي، إلى جانب الشيخ فاهم بن سلطان القاسمي، وإبراهيم سالم العلوي، جناح الشارقة المشارك في المعرض، وتجولوا في أروقة الجناح، واطلعوا على مجموعة المبادرات الثقافية، والكتب الإماراتية المترجمة إلى اللغة البرتغالية، كما قدّم الشيخ فاهم القاسمي، مجموعة من إصدارات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، باللغتين البرتغالية والإنجليزية إلى السيدة الأولى لولاية ساو باولو. واستهل الشيخ فاهم بن سلطان القاسمي، كلمته في حفل الافتتاح بالقول: «إن وجود إمارة الشارقة في القارة اللاتينية يعني الكثير»، مشيراً إلى أن الثقافة في أحد تجلياتها تجسيد لمراحل نوعيّة من تاريخ الشعوب، وأن التبادل الثقافي هو في حقيقته تبادل للتجارب التاريخية بين الأمم. وتابع الشيخ فاهم القاسمي: «نوجد اليوم في بلد أنجب كُتّاباً رائعين، تركوا بصماتهم الواضحة على الأدب العالمي، بلد شكلت مسيرته التاريخية التي خلدتها الروايات والمسرحيات والأشعار والأغنيات، نموذجاً لتطور المجتمعات، وبناء الهويات، وتوحيد المصالح والمصائر في مواجهة التحديات المشتركة، فالأدب البرازيلي يحمل نكهة خاصة، وهوية مميزة، وجمالية متفوقة، تعكس صورة هذا البلد،

وروعة علاقاته الداخلية والخارجية، ولا يوجد قارئ أو مثقف لم يتعرف إلى الأدب البرازيلي أو اللاتيني منذ بدايات شغفه بالقراءة». وفي إشارة منه إلى أهمية تبادل الإنتاج الأدبي بين الشعوب، قال الشيخ فاهم القاسمي: «الكتابة هي تجليات للوجدان، فعندما نكتب، نعيد رسم العالم كما ينبغي أن يكون، وعندما نقرأ الآخر ويقرؤنا نتشارك المخيلة، ونفهمه بمعزل عن الفوارق التي أوجدتها اللغة والجغرافيا، وقيل قديماً نحن نكتب ليفهمَنا الناس، وأنا في هذه المناسبة أقول نحن نقرأ حتى لا يبقى الآخر مجهولاً، نقرأ لنكتشف أبعاداً إنسانية جديدة، ولهذه الأسباب وغيرها، نعتبر التبادل الثقافي مدخلاً لعلاقات تتجاوز البروتوكولات الرسمية، علاقات تدوم؛ لأنها أثمرت في وجدان كل منا الصورة الأجمل عن الآخر». وأكد الشيخ فاهم بن سلطان القاسمي، أن العلاقات الثقافية التي تربط دولة الإمارات العربية المتحدة مع الجانب البرازيلي، أصيلة وقوية، تعكس حقيقة المسيرة التاريخية للدولة منذ كانت حلماً يتقاسمه القادة. من جهته، وصف

إبراهيـم سـالم العلـوي، العلاقـات بـين الإمـارات والبرازيـل بأنهـا «متينـة»، وأن اختيـار إمـارة الشـارقة أول ضيـف شرف يحـل علـى معـرض سـاو باولـو الـدولي للكتـاب، يشـكل تعبيـراً عـن عمـق العلاقـات، وتقديـراً لمكانـة الإمـارة، وخطـوة جديـدة وبنـاءة في سـبيل فتـح منافـذ التعـاون علـى مختلـف المسـتويات، خاصـة أن دولـة الإمـارات تـرى في الفعـل الثقـافي مرتكـزاً لعلاقاتهـا مـع بلـدان العـالم. بـدوره، قـال برونـو كوفـاس: «نتطلـع مـن خـلال اسـتضافة الشـارقة إلى تمتـين العلاقـات الاقتصاديـة والاجتماعيـة والثقافيـة مـع دولـة الإمـارات، لمـا تمثلـه مـن حضـور واسـع وكبير علـى مسـتوى الخليـج العـربي ومنطقـة الـشرق الأوسـط والعـالم، كـما نعمـل جاهديـن لفتـح أفـق العمـل المشـترك والبنّـاء بـين مدينـة سـاو باولـو وإمـارة الشـارقة التـي تعتـبر واحـدة مـن أقطـاب الحـراك الثقـافي العالمـي». مـن جانبهـا، قالـت السـيدة الأولى لوسـيا فرانسـا: «يؤكـد الفعـل الثقـافي تاريخيـاً أنـه واحـد مـن المرتكـزات التـي تكشـف حجـم المشـتركات الإنسـانية بـين شـعوب العـالم، ويـأتي اختيـار الشـارقة ضيـف شرف معـرض سـاو باولـو الـدولي للكتـاب كخطـوة جديـدة للانفتـاح عـلى الثقافـة الإماراتيـة والعربيـة والإسـلامية، إذ تمثـل الإمـارة مركـزاً ثقافيـاً كبـيراً عـلى خريطـة العـالم». وتحـدث سـيرجو سـا ليتـاو عـن مكانـة الشـارقة الثقافيـة في العـالم، بقولـه: «نحـن في البرازيـل نعـرف إمـارة الشـارقة بحجـم اسـتثمارها في المعرفـة، وجهودهـا المتواصلـة والواسـعة، الراميـة إلى تعزيـز الخطـاب الإنسـاني وقيـم الخـير والسـلام والمحبـة، مـن خـلال الاطـلاع عـلى الآخـر، عـبر القـراءة والكتـاب، الأمـر الـذي يجعلهـا نموذجـاً للمـدن الناهضـة وذات الرؤيـة الواضحـة، في مـدّ جسـور التواصـل مـع مختلـف ثقافـات وحضـارات العـالم». وعـبّر لويـس توريللـي عـن أهميـة اختيـار الشـارقة ضيـف شرف المعـرض، بالقـول: «تمثـل الشـارقة عاصمـة الثقافـة في دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة، هـذه الدولـة التـي تشـكل علامـة فارقـة عـلى خريطـة المنطقـة العربية والـشرق الأوسـط، ونتطلـع مـن خـلال الاسـتضافة إلى التعـرف إلى الفنـون، والآداب، والـتراث الكبـير لدولـة الإمـارات، إضافـة إلى مـا يقابلهـا عـلى المسـتوى العـربي والإسـلامي، فالشـارقة تحمـل لقـب عاصمـة الثقافـة العربيـة، وعاصمـة الثقافـة الإسـلامية، واليـوم تحتفـي باختيارهـا مـن قبـل «اليونيسـكو» عاصمـة عالميـة للكتـاب لعـام 2019».

وقـد نظمـت الشـارقة بـإشراف هيئـة الشـارقة للكتـاب، خـلال حضورهـا في معـرض سـاو باولـو، وبالتعـاون مـع 15 هيئـة ومؤسسـة ثقافيـة إماراتيـة، مـن بينهـا معهـد الشـارقة للـتراث، أكـبر مشـاركة عربيـة في تظاهـرة ثقافيـة في أمريـكا الجنوبيـة، تتجـلى مـن خـلال سلسـلة مـن النـدوات والجلسـات النقاشـية التفاعليـة التـي تتنـاول الشـعر، والروايـة، والـتراث في دولـة الإمـارات، وبوفـد يضـم 20 كاتبـاً وناشراً إماراتيـاً، يقدمـون سلسـلة مـن الجلسـات والنـدوات المعرفيـة بالمعـرض، إلى جانـب 40 كتابـاً إماراتيـاً مترجـماً إلى البرتغاليـة، اللغـة الرسـمية في البرازيـل.

مشاركات دولية متميزة لـ «الشارقة للتراث»

يمضـي معهـد الشـارقة للتـراث بخطـاً واثقـة، وبعزيمـة وإصـرار قـوي، سـاعياً إلـى إبـراز تجربتـه الرائـدة والواعـدة فـي مجـال حفـظ التـراث الإماراتـي وصونـه مـن الضيـاع والاندثـار، سـواء مـن خـلال الجهـود البحثيـة والتوثيـق والأرشـفة والدراسـات العلميـة، التـي يعمـل علـى نشـرها وإتاحتهـا لجمهـور القـرّاء، أو مـن خـلال المشـاركات الفاعلـة فـي المؤتمـرات الدوليـة والملتقيـات الثقافيـة والنـدوات العلميـة التـي تنظـم فـي مختلـف أرجـاء العالـم. جهـود تكلّلـت بالعطـاء والنجـاح والإنجـاز الواضـح والمبهـر، فـي فتـرة وجيـزة مـن عمـر التأسـيس، ولا يـكاد يمضـي يـوم تشـرق فيـه الشـمس إلا يضـاف إلـى ذلـك السـجل الحافـل سـطور مشـرقة تكتـب بمـاء الذهـب.

تراث الإمارات يعانق البرازيل

في مشـاركته الأخـيرة في معـرض سـاو باولـو للكتـاب في دورتـه الـ25، الـذي تحـلّ الشـارقة فيـه ضيـف شرف، حـرص المعهـد عـلى الحضـور والتفاعـل والمشـاركة ببرنامـج غنـي ومتنـوّع لفـت الأنظـار واسـتحوذ عـلى تقديـر مسـتحق مـن لـدن الجهـات والهيئـات المشـاركة في المعـرض.

وتتميـز مشـاركة المعهـد بفعاليـات وأنشـطة وبرامـج مميـزة وحيويـة، تقـدم الـتراث الإمـاراتي بصـورة جاذبـة، وتعمـل عـلى التعريـف بهـذا الـتراث العريـق، الـذي يشـكل أحـد أبـرز معـالم الهويـة الوطنيـة والخصوصيـة. وقـال سـعادة الدكتـور عبدالعزيـز المسـلّم، رئيـس معهـد الشـارقة للـتراث: «تسرنـا كثـيراً المشـاركة في معـرض سـاو باولـو الـدولي للكتـاب في البرازيـل، حيـث تحـلّ الشـارقة، ضيـف شرف النسـخة الخامسـة والعشريـن مـن المعـرض، لتمثـل الثقافـة العربيـة والإسـلامية، بفضـل رؤى وتوجيهـات صاحـب السـمو الشـيخ الدكتـور سـلطان بـن محمـد القاسـمي، عضـو المجلـس الأعـلى حاكـم الشـارقة». ولفـت إلى أن مشـاركة المعهـد تتميـز بفعاليـات وأنشـطة عديـدة، تـأتي ضمـن مشـاركة الشـارقة في المعـرض، حيـث سـيكون هنـاك بانوراما مـن الـتراث الثقـافي الإماراتي، متمثلـة في الحـرف التقليديـة والأزيـاء والمأكولات الشـعبية والإصـدارات، بالإضافـة إلى المشـاركة المميـزة لفرقـة الشـارقة الوطنيـة التابعـة للمعهـد، حيـث سـتقدم عـدداً مـن العـروض للفنـون الشـعبية الإماراتيـة الأصيلـة. مشـيراً إلى أن معهـد

د. عبد العزيز المسلّم، صقر محمد، عائشة الحصان، خلود الهاجري، خلال المشاركة في المعرض

الشارقة للتراث يعمل على ترسيخ التراث الثقافي الإماراتي، وإبراز الدور الرائد لإمارة الشارقة في هذا المضمار، وهو دور حيوي مهم تسعى الشارقة من خلاله إلى نشر الثقافة العربية في العالم، والتعريف بها في كل القارات. وأضاف الدكتور المسلّم: «إن مشاركة الشارقة في هذه التظاهرة الثقافية الكبرى، ليست بالغريبة عن الإمارة، فهي حاضرة بقوة في الفعاليات الثقافية والتراثية في مختلف بلدان العالم، وما هذه المشاركة في القارة اللاتينية، إلّا مؤشر جديد على مكانة الشارقة المرموقة، ومشروعها الثقافي والتراثي المميز، على المستوى العالمي، فنهج الإمارة هو السعي دوماً إلى تعزيز التواصل بين الحضارات، حيث هناك الكثير من العناصر والمكونات المشتركة، التي يتم العمل على تعزيزها وترسيخها، وتثبيت دعائم الحوار الثقافي والمعرفي مع مختلف حضارات العالم، بما يسهم في نقل صورة مشرقة عن تاريخنا وتراثنا وذاكرتنا الأصيلة». وتابع: «نحن هنا في البرازيل، لنعرف شعوب أمريكا الجنوبية بالتراث والثقافة الإماراتية، المملوءة بالجمال والعمق والتنوّع والتسامح».

شمل برنامج المشاركة الحرف التقليدية والرقصات والإيقات التراثية والكتب والإصدارات العلمية والتراثية، حيث قدّم عروضاً حيّة، نقلت الموروث الشعبي الإماراتي إلى الجمهور البرازيلي، وعرّفت بالحرف الإماراتية التقليدية، مثل «التلي» (الضفائر المنسوجة يدوياً)، و«السفيفة» (جدل سعف النخيل)، ونقش الحناء وصناعة الدمى، و«الفروخة» والبرقع، وغيرها، حيث شاركت ستّ حرفيات من برنامج بدوة للتنمية الاجتماعية، التابع لـ«مجلس إرثي»، وخمس حرفيات من مركز الحرف الإماراتية بمعهد الشارقة للتراث، في صناعة الحرف التقليدية طوال فترة المعرض، أمام الزوار مباشرةً، وتعريفهم بالتقنيات الدقيقة المستخدمة في إنتاجها.

كما قدمت فرقة الشارقة الوطنية عروضاً في معالم شهيرة في مدينة ساو باولو البرازيلية، من متحف كرة القدم حتى حديقة إيبرابويرا المشهورة، وصولاً إلى متحف ساو باولو للفنون. وجمعت العروض زوار المعرض أمام جناح الشارقة المشارك، عارضة لهم فنون: النوبان على آلة الطنبورة، والليوا على آلة المزمار، والطبل الكبير (شيندو)، إضافة إلى فن الأنديما بالقربة التي تشبه القربة الأسكتلندية، والهبان على القربة الجلدية. وتشتمل العروض على رقصات شعبية تروي ملامح من سيرة المجتمع الإماراتي، من خلال التعريف بالحِرف التقليدية التي مارسها، سواء في تجارة اللؤلؤ، أو الزراعة، أو الصيد، إذ أخذ أعضاء الفرقة - بزيّهم الشعبي - الجمهور الذي احتشد في الساحات والشوارع المحاذية للمعالم، إلى نمط المعيشة، وأنماط الغناء والأهازيج المعروفة في التراث الشعبي الإماراتي.

وفد حكومة الشارقة إلى سانت بطرسبيرغ

توثيق العلاقات الثقافية مع سانت بطرسبيرغ

بتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، تم تشكيل وفد من إمارة الشارقة، بتنسيق من دائرة العلاقات الحكومية؛ لزيارة مدينة سانت بطرسبيرغ الروسية، تضمنت اجتماعات مع شركات ومؤسسات حكومية في مجال الثقافة والسياحة والتعليم والاقتصاد، إضافة إلى القطاعات ذات الاهتمام المشترك في مجال المتاحف والحفاظ على المخطوطات القديمة، وفي مجالات التعليم، وإقامة المعارض، وتبادل المعرفة. ترأس الشيخ فاهم بن سلطان القاسمي، رئيس دائرة العلاقات الحكومية، الوفد من حكومة الشارقة، الذي يتضمن أربع مؤسسات حكومية، وشارك في الوفد سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، وسعادة عبدالله العويس، رئيس دائرة الثقافة، وسعادة علي المري، رئيس دارة الشيخ سلطان للدراسات الخليجية، وسعادة علي سالم المدفع، رئيس هيئة المطار الدولي، وصقر محمد، مدير إدارة الاتصال المؤسسي في معهد الشارقة للتراث، ومحمد القصير، مدير إدارة الشؤون الثقافية في دائرة الثقافة. وشملت زيارة الوفد جهات ومؤسسات روسية، جرى خلالها بحث سبل تعزيز آليات التعاون المشترك، وتطوير العلاقات الثنائية، ومد جسور التواصل بين إمارة الشارقة ومدينة سانت بطرسبيرغ، في مختلف المجالات منها التعليم والثقافة والمعرفة، وبحث فرص التعاون بين مطار الشارقة الدولي ومطار سانت بطرسبيرغ.

وأكد الشيخ فاهم بن سلطان بن خالد القاسمي، رئيس دائرة العلاقات الحكومية رئيس اللجنة العليا للتحول الرقمي بالشارقة، حرص الدائرة على تعزيز التعاون مع مختلف الجهات والمؤسسات الدولية، وتبادل المعارف والخبرات، وتوحيد وسائل الاتصال الدولية، وفق نهج وقيم إمارة الشارقة، بقيادة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة.

وتمت زيارة معهد المخطوطات الشرقية في سانت بطرسبيرغ، ومركز المعارض والمتاحف في سانت بطرسبيرغ، والاجتماع مع رؤسائهم لتحديد الموعد المناسب لأسبوع الشارقة الثقافي في سانت بطرسبيرغ (يونيو 2019).

وأعرب الشيخ فاهم بن سلطان القاسمي، عن سعي الحكومة لتعزيز العلاقات الثقافية والأكاديمية والسياحية بين إمارة الشارقة ومدينة سانت بطرسبيرغ، حيث تعتبر الشارقة وجهة رائدة لمئات الآلاف من السيّاح الروس، الذين يزورون الإمارة سنوياً، للاطلاع على ثقافتها وتاريخها العريقين. ويدعم ذلك وجود رحلات جوية مباشرة تربط بين الشارقة وروسيا، ونسعى إلى جعل الشارقة أكثر جاذبية لهؤلاء السيّاح، من خلال إضافة رحلات جوية من إمارة الشارقة إلى مدينة سانت بطرسبيرغ الروسية».

د. عبد العزيز المسلّم يتوسط د. عبد الواحد بنصر وعائشة الحصان وعتيق القبيسي وعزيز رزناره وجاسم الصواية ود. يحيى العبالي

توقيع اتفاقية شراكة مع «الوطني لعلوم الآثار والتراث»

وقّع معهد الشارقة للتراث اتفاقية شراكة مع المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث بالرباط، تتعلق بالتراث غير المادي. جاء ذلك خلال زيارة وفد من معهد الشارقة للتراث، برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد، لمهرجان مغرب حكايات والمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث بالرباط، في إطار زياراته للمؤسسات الثقافية. والتقى الوفد خلال الزيارة سعادة الدكتور عبدالواحد بنصر، مدير المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث بالرباط، حيث ناقش الجانبان الطموحات العلمية للمعهدين، وتبادل الإصدارات العلمية. وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم: سعدنا كثيراً بهذه الزيارة التي عرّجنا فيها على مهرجان مغرب حكايات،

د.عبد العزيز المسلّم، د. أحمد مرسي خلال مهرجان «مغرب حكايات»

الذي تنظمه سنوياً جمعية لقاءات للتربية والثقافات، والمعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، ونحن في الحقيقة لا نعتبر أنفسنا ضيوفاً، فلدينا من العلاقات والتواصل المستمر والتفاعل الحيوي، ما يستحق الاعتزاز والتقدير، ونحن حاضرون في مهرجان مغرب حكايات في أكثر من دورة، وبأكثر من شكل. ولفت إلى أن المعهد يتحرك ويتفاعل ويتواصل مع الأشقاء في كل البلدان العربية، ومع مختلف بلدان العالم، في إطار رؤى وتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، لدعم إحياء التراث العربي، ومنه الفن المحكي المرتبط بالحكاية، كما أن مشاركة وحضور المعهد في الفعاليات التراثية المتنوعة، تمثل فرصة حيوية للتعريف بالتراث الإماراتي، وتبادل التجارب والخبرات والمعلومات والمعارف والجهود المبذولة في صون التراث وحفظه ونقله للأجيال. وذكر أنه في إطار انفتاح معهد الشارقة للتراث على محيطه العربي والإسلامي والدولي، وبدعوة من رئيسة جمعية لقاءات للتربية والثقافات بالمملكة المغربية، الدكتورة نجيمة طايطاي غزالي، رئيسة مهرجان مغرب حكايات، تم العمل على تلبية تلك الدعوة لحضور المهرجان، الذي انطلق في الأول من يوليو الماضي، واستمر حتى الثالث عشر منه، تحت شعار الكلمة للغابات، بمشاركة وفود من 39 دولة عربية ودولية، بالإضافة إلى جهات وأقاليم المغرب بفرق محلية.

ولفت إلى تنوّع أنشطة المهرجان بين عروض حكواتية، وورش تطبيقية حول دور الحكاية في التربية، وندوة علمية بعنوان «تيمة الغابة في المتخيل الشعبي المشترك للإنسانية».

شارك في الزيارة وفد يضم عائشة الحصان، مديرة مركز التراث العربي، وأحمد الدح، رئيس قسم العلاقات الدولية، وجاسم الصواية، مسؤول العلاقات العامة.

عبدالعزيز المسلّم يوقّع النسخة البرتغالية من «موسوعة الكائنات الخرافية»

د. عبد العزيز المسلّم خلال توقيع كتابه

وقّع سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، النسخة البرتغالية من كتابه «موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي»، في معرض ساو باولو الدولي للكتاب، في نسخته الـ52، بحضور جمع غفير من الكتّاب والمثقفين والإعلاميين.

ويُعَدّ هذا الكتاب أول موسوعة تراثية عن الكائنات الخرافية في السرد الشفاهي الإماراتي، جمع فيها البحّاثة الدكتور عبدالعزيز المسلّم كمّاً كبيراً من الكائنات الخرافية التي شكّلت جزءاً مهماً في المخيال الشعبي الإماراتي، لما اتّصف به أبطالها من أشكال مخيفة، وقوى خارقة. كما أن أحداث هذه الحكايات غريبة وعجيبة، وفيها مفاجآت غير متوقعة، وترتكز على العناصر التالية: (البحر، النخلة، البياض، السواد، الإيمان، القهر، الحسد).

وقد استهلّ المؤلف هذه الموسوعة القيّمة بحكايته مع الكائنات الخرافية في مدينة خورفكان، وما تعالق في ذهنه من قصص وحكايات خرافية سمعها خلال إقامته فيها، وسردها بأسلوب جميل ولغة جزلة، ومضمون ثري، مستعرضاً رمزية تلك الكائنات الخرافية في المخيال الشعبي الإماراتي ودلالتها الثقافية.

د.عبد العزيز المسلّم خلال مشاركته في الحلقة النقاشية

ومن بين الكائنات الخرافية التي تحدث عنها: «الراعبية، السّعْلوّه، الشبيّه، الضّبّاحَة، الضّبعة، أم الصبيان، بوالسلاسل، العتم، الناريلة، النّغّاقه، الهامة، بابا درياه، أم الهيلان، أم رخيش، أم كربة وليفة، بعير بلا راس، بعير بوخريطة، بوراس، بوسلع، جنّي الرقاص، جنّي المريجة، حصّة وعيالها، حمارة وكلاب القايلة، خطاف رفاي، روغان، سدرة الصنم، شَنَق بن عَنَق، كهف الدابة، عثيون، غريب، فتّوح (عفريت القرم)، أم الدوّيس».

يذكر أن هذا الكتاب مترجم إلى لغات أجنبية عدة، منها: (الإنجليزية، الفرنسية، البرتغالية).

تاريخ الحكاية الشعبية في الإمارات

من جانب آخر، شارك سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، في حلقة نقاشية، أقيمت ضمن البرنامج الثقافي للمعرض، واستعرض فيها تاريخ الحكاية الشعبية في الإمارات، إلى جانب ماركو هوليليو، المتخصص في تاريخ الحكاية الشعبية البرازيلية، والكاتب في المجلس البرازيلي لكتب اليافعين، وتناولت الحلقة الجوانب التي تتشابه فيها القصص والحكايات الإماراتية والبرازيلية من ناحية، وما يقابلها من حكايات شعبية عالمية من ناحية أخرى، وذلك في أجواء جميلة لاقت استحسان الجمهور.

وقال الدكتور المسلّم: «تسرنا المشاركة في معرض ساو باولو الدولي للكتاب في البرازيل، وخصوصاً في هذه الحلقات النقاشية، حيث يعمل معهد الشارقة للتراث على ترسيخ التراث الثقافي الإماراتي، وإبراز الدور الرائد لإمارة الشارقة في هذا المضمار، وهو دور حيوي مهم تسعى الإمارة من خلاله إلى نشر الثقافة العربية في العالم، والتعريف بها في كل القارات».

وأضاف: «تحلّ الشارقة ضيف شرف على النسخة الـ52 من المعرض، تقديراً لجهودها ومكانتها العالمية في عالم الثقافة والمعرفة والكتاب، ورسالتها الحضارية للعالم عموماً، وللشعب البرازيلي خصوصاً، وتتميز مشاركة المعهد بفعاليات وأنشطة وبرامج مميزة وحيوية، متمثلة في الحرف التقليدية والأزياء والمأكولات الشعبية والإصدارات، بالإضافة إلى المشاركة المميزة لفرقة الشارقة الوطنية التابعة للمعهد، التي تقدم التراث الإماراتي بصورة جذابة، وتعمل على التعريف بهذا التراث العريق، الذي يشكل أحد أبرز معالم الهوية الوطنية».

د. أحمد مرسي، د. سعيد المصري خلال حفل التكريم

أحمد مرسي.. رائد التراث

كـرّم المجلـس الأعـلى للثقافـة، التابـع لـوزارة الثقافة المصرية، في أمسية حافلة، الأستاذ الدكتـور أحمـد مـرسي، كرائـد من أهـم رواد الـتراث الثقـافي غـير المـادي، ضمـن البرنامـج الشـهري الـذي أطلقـه المجلـس تحـت عنـوان: «مـصر تكـرّم رموزهـا»، وذلـك في إطـار حـرص وزارة الثقافـة المصريـة عـلى الاحتفـاء بالرمـوز الفكريـة التـي أثـرت الحيـاة الثقافيـة في مـصر، والتـي أسـهمت في ترسـيخ مكانـة مـصر الثقافيـة عـلى السـاحة الدوليـة.

أدار الأمسية الدكتـور أحمـد زايـد، مقـرر لجنـة علـم الاجتـماع والأنثروبولوجيـا في المجلـس، ونظمتهـا وحـدة أمانـة المؤتمرات، بحضـور الأسـتاذ الدكتـور/ سـعيد المـصري، الأمـين العـام للمجلـس الأعـلى للثقافـة، وجمـع غفـير مـن المفكريـن والخـبراء والباحثـين والمتخصصـين والإعلاميـين.

وفي مسـتهلّ الأمسـية، قـال الأسـتاذ الدكتـور سـعيد المـصري: سـعداء في هـذه الليلـة ونحـن نسـتقبل عالمـاً جليـلاً قـدّم الكثـير مـن العطـاء في مجـال الفولكلـور والأدب الشـعبي، واسـتطاع بإبداعـه أن يعيـد إنتـاج الـتراث الشـعبي؛ ليحقـق معادلـة جديـدة مـن الإبـداع، تسـد الفجـوات في هـذا المجـال.. واختـتم كلمتـه بإهـداء درع المجلـس إلى الدكتـور أحمـد مـرسي، تقديـراً لـدوره وتأثـيره في الثقافـة المصريـة والعربيـة.

وبـدأ الدكتـور أحمـد مـرسي كلمتـه بتحيـة وفـاء لوالـده، رحمـة اللـه عليـه، الـذي يديـن لـه بالجميـل والعرفـان، لمـا غرسـه بداخلـه مـن قيـم سـار عـلى دربهـا طـوال حياتـه، مضيفـاً «أقـدّم التحيـة إلى أمـي التـي جعلـت منـي رجـلاً يـدرك تمامـاً واجباتـه ومسـؤولياته تجـاه نفسـه وبيتـه ووطنـه، وأنتهـزُ الفرصـة لأقـدم التحيـة إلى أسـاتذتي الذيـن أديـن لهـم بالكثـير، إذ جعلـوني عاشـقاً لهـذا الوطـن، مثـل الدكتـورة سـهير القلـماوي، والدكتـور عبدالحميـد يونـس».

وأكـد الدكتـور أحمـد مـرسي ضرورة احـترام الـتراث المـصري الشـعبي، وألا تكـون الشـعبية مرادفـاً لـكل مـا هـو رخيـص أو غـير هـادف، وهـذا مـا يتطلـب تضافـر كل الجهـود والإمكانـات؛ لـكي يتـم الاهتـمام بالـتراث الشـعبي، بمـا يليـق بشـعب صانـع لمثـل تلـك الحضـارة، مشـيراً إلى أهميـة تكريـم الفنانـين الشـعبيين، سـواء مـن رحلـوا عنـا أو مـن هـم عـلى قيـد الحيـاة، وقـال إنـه لـولا هـؤلاء لمـا كان هنـاك

وجـود للمتخصصـين والباحثـين وأسـاتذة الأدب الشـعبي.

وقـدّم نخبـة مـن المفكريـن والخـبراء والباحثـين مـن رفقـاء درب وتلامـذة ومحبـي الأسـتاذ الدكتـور أحمـد مـرسي، شـهادات عميقـة ومعـبّرة عـما يجيـش في دواخلهـم، ويسـكن أحاسيسـهم مـن تقدير وتبجيـل لهـذا العالِـم الرائـد، والمواقـف الإنسـانية والعلميـة التـي ترسـخت في أذهانهـم معـه، وذكـروا مـا يتحـلى بـه مـن صفـات أخلاقيـة، مثـل المثابـرة والتفـاؤل والشـهامة، التـي اتخذهـا مـرسي منهجـاً وأسـلوباً في تعاملـه مـع الآخريـن، وكان لهـا أكـبر الأثـر في نفوسـهم وتقويمهـم إلى المسـار والفكـر الصحيـح، ووصفـه الجميـع بأنـه رجـل يطلـق عليـه «آلـف ومألـوف»، يحبـه ويحترمـه الجميـع، وهـو يحـب ويحـترم الجميـع، جمـع بـين التواضـع الجمّ والعلـم الغزيـر، وبـين الإخـلاص والعطـاء، وكان لـه جهـد كبـير في الحفـاظ عـلى تراث هـذا الوطـن، مـن خـلال عملـه بالمكتـب الدائـم لحمايـة حقـوق المؤلـف، ومـن خـلال سـنوات العمـل في لجنـة الفنـون الشـعبية بالمجلـس الأعـلى للثقافـة.

ومـن بـين أولئـك المشـاركين الدكتـور جابـر عصفـور، المفكـر حلمـي شـعراوي، الدكتـور رجـائي عطيـة، الدكتـور شـاكر عبدالحميـد، الدكتـور عـماد أبوغـازي، الدكتـور حسـن السـعدي، الدكتـور محمـد غنيـم، السـفير أسـامة توفيـق، الباحـث عاطـف السـعداوي، الفنانـة الشـعبية فاطمـة سرحـان، الدكتـور محمـد عفيفـي، الدكتـور محمـود الضبـع، الدكتـورة سـماء سـليمان، الدكتـور محمـد أحمـد مـرسي، الكاتـب الصحفـي محمـد البغـدادي، الدكتـورة نهلـة إمـام، الدكتـورة نـوال المسـيري، الدكتـور أحمـد بهـي الديـن العسـاسي، الدكتـور عصـام حمـزة، الكاتـب أحمـد الجـمال.

والحـق أن الأسـتاذ الدكتـور أحمـد مـرسي يعتـبر قامـة علميـة وعالميـة فارعـة، أسـهمت عـلى مـدى عقـود متواصلـة في البحـث والتدريـس والتكويـن والتدريـب والتحقيـق والتدقيـق والتمحيـص، وخرّجـت أجيـالاً كثـيرة، حملـت مشـعل النـور والثقافـة والمعرفـة.

قامة اسـتثنائية مؤسِّسـة ومؤثـرة ومعطاءة، وتنبـض بالحماسـة والعطـاء المسـتمر، وهو العلّامـة الكبـير والفهّامـة النحريـر، وواحـد مـن الفطاحـل الكبـار، والأسـاتذة الأخيـار الذيـن جـاد بهـم الزمـان، وكان، ولايـزال، أسـتاذاً وعميـداً ورائـداً وقطبـاً مـن أقطاب الـتراث، يـترك بصمـة باقيـة مـا تعاقـب الجديـدان أينـما حـلّ وارتحـل.

يعمـل حاليـاً مستشـار الـتراث المعنـوي في معهـد الشـارقة للـتراث، وشـغل خـلال مسـيرته العلميـة والعمليـة العديـد مـن المناصـب المهمـة، منهـا: أسـتاذ ورئيـس قسـم اللغـة العربيـة ــ كليـة الآداب، جامعـة القاهـرة، عميـد كليـة الآداب، جامعـة بنـي سـويف، عميـد المعهـد العالي للفنـون الشـعبية 1981-1987، وكان أسـتاذاً زائـراً في العديـد مـن الجامعـات العربيـة والأجنبيـة، ومستشـاراً ثقافيـاً في السـفارتين المصريتـين في رومـا وإسـبانيا، كـما عمـل مديـراً لمركـز الفنـون الشـعبية ــ وزارة الثقافـة، 1978ـ1986، ورئيسـاً لتحريـر مجلـة الفنـون الشـعبية في الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، ومستشـاراً لوزيـر الثقافـة لشـؤون الـتراث الشـعبي سـنة 1997، ورئيسـاً لمجلـس إدارة الهيئـة العامـة لـدار الكتـب في وزارة الثقافـة. كـما حصـل عـلى العديـد مـن الجوائـز والأوسـمة تثمينـاً لجهـوده.

مؤلفاته:

صـدر لـه العديـد مـن المؤلفـات والدراسـات والأبحـاث المهمـة في قضايـا الـتراث الشـعبي، مـن بينهـا:

- الأغنيـة الشـعبية - دراسـة ميدانيـة في منطقـة البرلـس 1966م.
- المأثـورات الشـعبية الأدبيـة - دراسـة ميدانيـة في منطقـة الفيـوم 1969م.
- دراسـات في الفولكلـور مـع آخريـن، دار الثقافـة للنـشر 1971م.
- الأغنيـة الشـعبية - المكتبـة الثقافيـة - الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب 1971م.
- مقدمـة في الفولكلـور، دار الثقافـة للنـشر 1975م عـشر طبعـات، دار عـين للنـشر 1997م أربـع طبعـات.
- أبحـاث في الـتراث الشـعبي مـع آخريـن، دار الشـؤون الثقافية - بغـداد 1986م.
- الفولكلـور والإسرائيليـات - دار المعـارف - 1976م.
- الأغنيـة الشـعبية - مدخـل إلى دراسـتها - دار المعـارف 1982م.
- المأثـورات الشـفاهية - ترجمـة، دار الثقافـة 1982م.
- الهيئة العامة لقصور الثقافة 1999م.
- الهيئة العامة لقصور الثقافة 2000م.
- الأدب الشـعبي وفنونـه - الهيئـة العامـة لقصـور الثقافـة 1985م.
- الفـن الشـعبي المـصري، بالإسـبانية والعربية مـع آخريـن، مدريـد - إسـبانيا 1987م.
- الأدب الشـعبي وثقافـة المجتمـع - الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب 1999م.
- الخرافـة في حياتنـا - كتـاب الجمهوريـة - القاهـرة 1999م.
- الإنسـان والخرافـة، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، القاهـرة 2003م.
- صـون الـتراث الثقـافي غـير المـادي - أرشـيف المـصري للحيـاة والمأثـورات الشـعبية - مـصر 2013م.

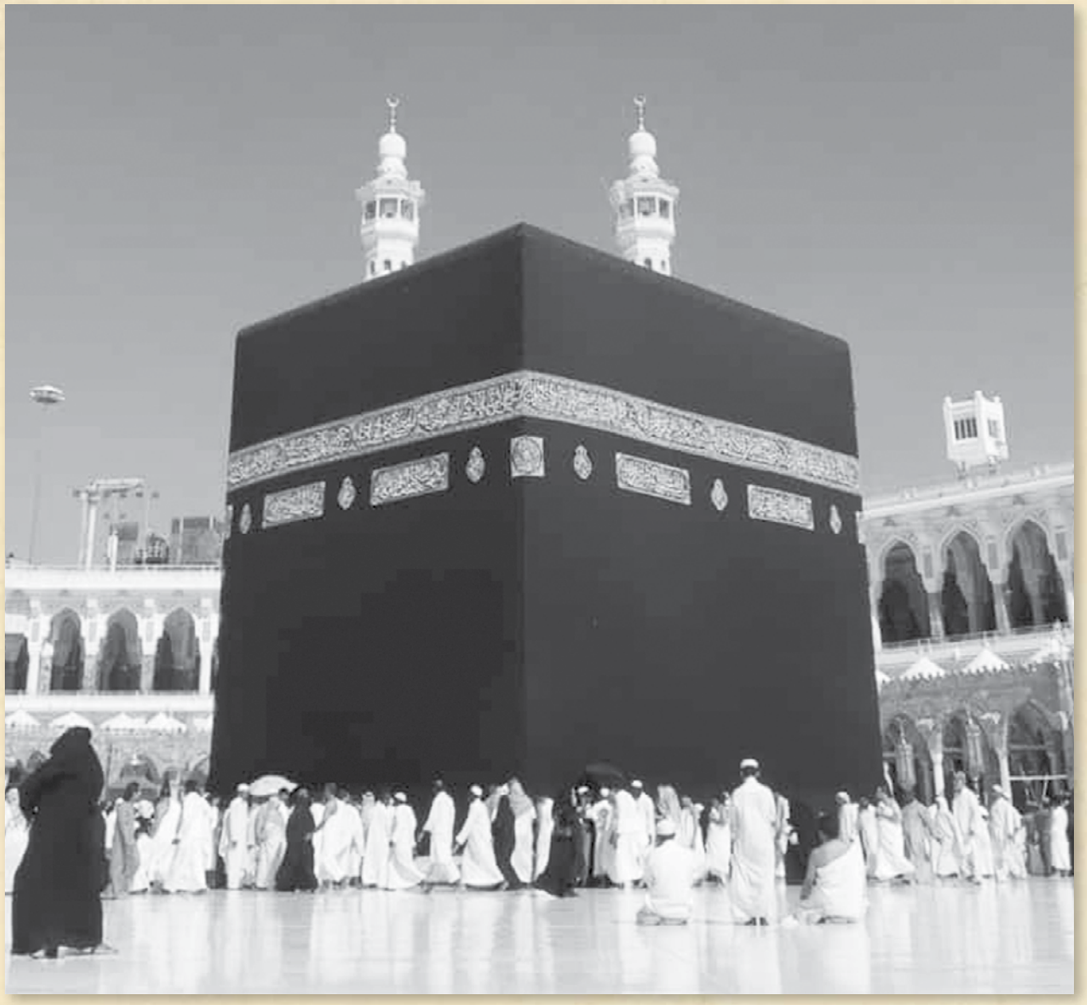

ملف الشهر

تقاليد الحج في التراث الإماراتي

حكايات وذكريات

البيت العتيق «أول بيت وضع للناس »

الحج: رحلة المستهام إلى البيت الحرام

الحج في الموروث الشعبي الإماراتي.. تقاليد راسخة

رحلة الحج قديماً

الحجّ في الإمارات في الماضي.. شوقٌ يتسامى على المشقة والتعب

تقاليد الحج.. تراث جزائري ديني واجتماعي لن ينضب

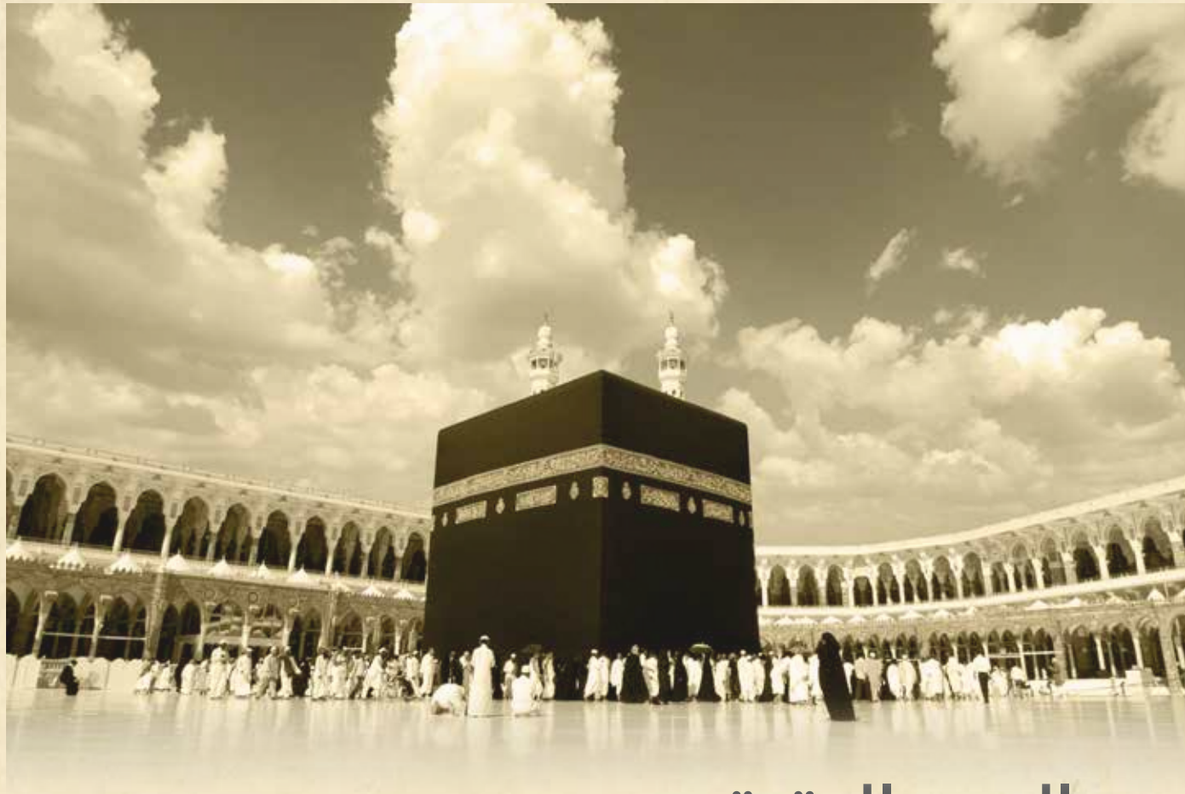

البيت العتيق
«أول بيت وضع للناس»

محمود كحيلة
كاتب ـ مصر

للكعبة المشرّفة أسماء عديدة سميت بها على مدى التاريخ الذي سجل أن موقع الكعبة هو أول مكان خلقه الله على سطح الأرض، ثم حيت الأرض من تحتها أي مدت ووسعت، فأصبحت كما نراها الآن وسط الدنيا، ومن أسماء الكعبة البيت الحرام، والبيت المعمور، والبيت المحرم، وتسمى الكعبة «البيت العتيق»؛ لأن الله أعتقها من الجبابرة فلا يطوف فيها أحد من الجبابرة، ولذلك من دخلها قاصداً شراً لا يدري

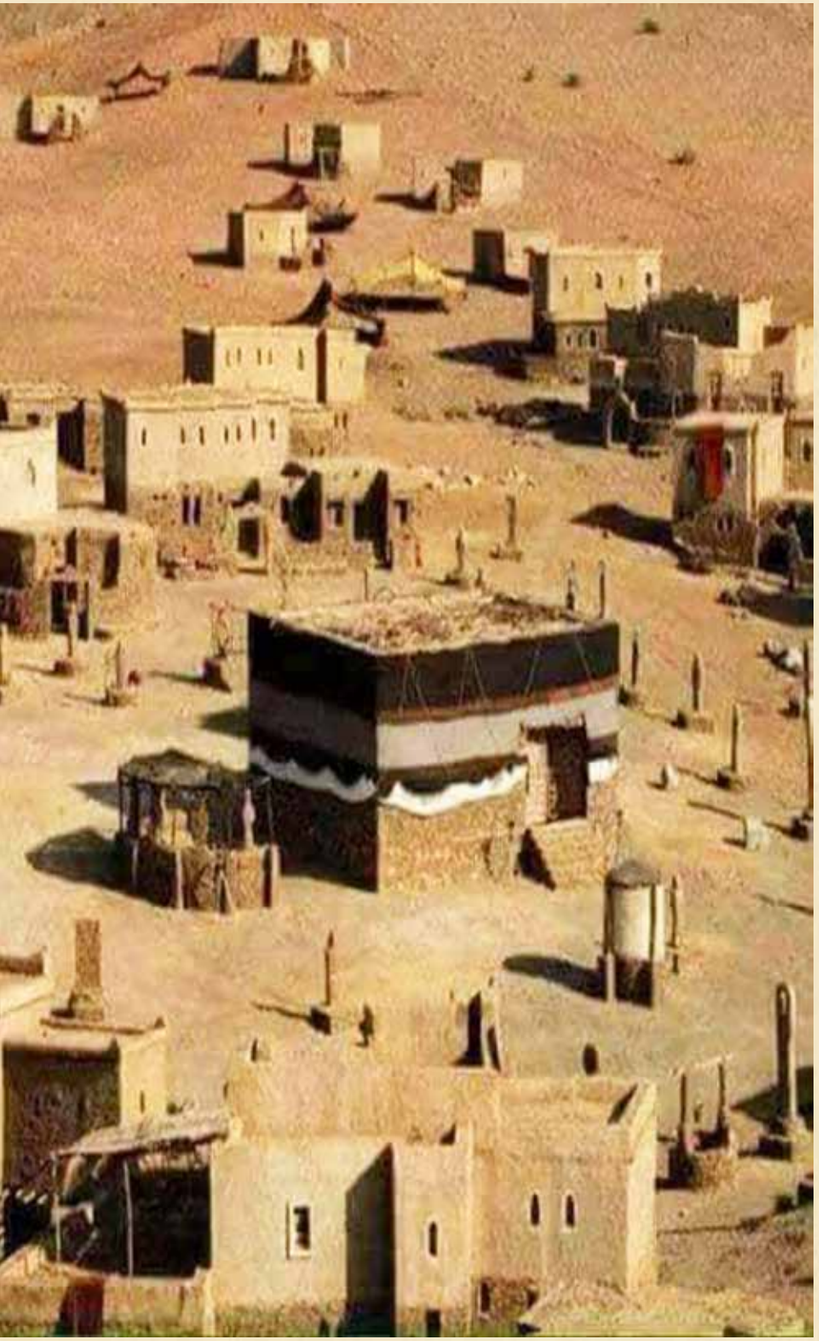

ربما لقي ما حدث للضابط البريطاني «ريتشارد فرانسيس بيرتون»، الذي استأجرته الجمعية الملكية الجغرافية البريطانية عام 1269 هجرية الموافق 1853 ميلادية لسرقة جزء من الحجر الأسود، لدراسته وتحليله، ولما ثبت أنه من أحجار السماء؛ لأنه يشبه أحجار النيازك، ويتميز بتركيب كيميائي ومعدني خاص، كان ذلك سبباً في إسلام ذلك الضابط الذي سجل قصته في كتاب مشهور يعرض فيه كيف كان تسلله إلى مكة سبباً في إسلامه بعنوان «رحلة إلى مكة»، ومن أشهر حكايات التاريخ التي تؤكد حقيقة أن الله أعتق الكعبة من شر الجبابرة قصة «أبرهة الأشرم» الحبشي الذي ولاه ملك الحبشة حكم اليمن، فلم يعجبه أن يحج الناس إلى الكعبة؛ لذلك أنشأ كنيسة عظيمة رائعة المعمار كلفها أموالاً طائلة لكي يجنب الناس مشقة السفر إلى مكة فيفضلون زيارتها عن الحج إلى الكعبة، إلا أن العرب أهملوا مبناه ولم يزره أحد منهم إلا للسخرية أو للنيل منه والتهكم عليه، فغضب الأشرم وأقسم أن يهدم الكعبة، وأعد لذلك جيشاً عظيماً من الخيل والفرسان والجنود والأفيال المدربة على القتال، واتجه إلى مكة بنية هدم الكعبة التي سلم أهلها أمرهم لمن بيده الأمر؛ لأنهم لم يكن لديهم ما يدافعون به عن البيت العتيق، ولا عن أنفسهم ضد هذا الغزو

الرهيب وقتها، فانتظروا في قلق ما أسفرت عنه الأحداث التي حفظتها لنا السيرة النبوية العطرة بما فيها موقف عبد المطلب، جد النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، الذي طلب من أبرهة أن يترك له إبله وأغنامه، فلما أبدى أبرهة دهشته، وقال له: «كنت أظنك ترجوني أن أتراجع عن هدم هذا البيت الذي به دينك ودين أبائك!»، فرد عليه عبد المطلب بعبارته الشهيرة: «للبيت رب يحميه»، وقد كانت حماية الله لبيته الحرام معجزة المعجزات هدية السماء التي وصفها ربنا في كتابه الجليل بقوله تعالى: {ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول}(الفيل: 1-5)، ويبدو أن تلك المعجزة الكبيرة كانت تخليداً لحدث أهم هو مولد نبينا محمد، صلى الله وعليه وسلم، الذي ولد عام 571 ميلادية في العام المعروف بعام الفيل.

البيت العتيق أو الكعبة المشرّفة هي بناء مكعب الشكل له أربعة أركان، ويقع وسط المسجد الحرام، بابه مرتفع عن مستوى الأرض، ويبلغ ارتفاع هيكل الكعبة المكعب (15) متراً، وهي مبنية من حجر رملي ورخام، وتحتوي الكعبة داخلها ثلاثة أعمدة تحمل السقف، وبها عدد من المصابيح الفضية والذهبية المعلقة، وتغطى الكعبة بالكسوة طوال أيام السنة، وهذه الكسوة قطعة قماش ضخمة من الديباج الأسود المزخرف حالياً بنقوش عربية إسلامية، وقد بنيت الكعبة مرات عدة، لكن أول بناء لها قام به سيدنا آدم، عليه السلام، ومعه الملائكة، وظل هذا البيت قائماً حتى أدركته السيول والطوفان، أما بناؤها الثاني الذي رفعت فيه القواعد فقد قام به إبراهيم، عليه السلام، بمعاونة ولده إسماعيل: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم} (البقرة:127)، وقد عاودتها السيول فسارع أهل مكة من العرب إلى إعادة بنائها على نفقتهم من أموال اشترطوا أن تكون حلالاً لا يدخلها من ربا الجاهلية، ولا من مال امرأة بغي، دليلاً على تعظيمهم الكعبة وتقديرهم لقدسيتها ولما جمع أهل مكة لبناء الكعبة من مصادر نقية، كما اتفقوا بعيداً عن الزنا والحرام، سارعوا مباشرة ببناء البيت وإقامته، ولكن المال لم يكفِ لإكمال البناء كما كان على عهد إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، ومن قبلهما آدم عليه السلام، فاضطر أهل مكة إلى أن يخرجوا من الكعبة جزءاً ويحجروا عليه هو حجر إسماعيل، لهدف

معرض الحج: رحلة في الذاكرة - جامع الشيخ زايد الكبير/ أبوظبي

ترشيد كلفة البناء الذي ما كانوا ليقدروا عليها، وكان أغلبهم فقراء لا يستطيعون غير ذلك، وهو ما يعني أن ذلك الحجر لم يختص به إسماعيل، عليه السلام، نفسه وإنما هو جزء محجور عليه؛ لأنه جزء أصيل من الكعبة، ولم يكن إسماعيل، عليه السلام، أو غيره ليخص نفسه بشيء من الكعبة التي بها أيضاً «مقام إبراهيم»، وهو حجر مربع الشكل طوله نصف متر تقريباً، لونه بين البياض والسواد والصفرة، وهو حجر أثري قام عليه النبي إبراهيم، عليه السلام، عند رفع قواعد الكعبة، وهو الحجر الذي قام من عليه بالأذان والنداء للحج بين الناس، وفي هذا الحجر الرخو أثر قدمى نبي الله إبراهيم؛ لأنه من نوع حجر الماء الذي يتسم بالليونة، وهو موجود إلى اليوم بجوار الكعبة المشرفة يصلي الناس خلفه ركعتي الطواف امتثالاً لقول الله تعالى: {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلي}(البقرة:127)، ومن معالم الكعبة «الحجر الأسود» الموجود في الركن الجنوبي يسار باب الكعبة المشرفة على ارتفاع 110 سم من الأرض، ويرجع أول ظهور له إلى عهد إبراهيم، عليه السلام، عندما كان يرفع بناءها وابنه إسماعيل يناوله الحجارة فوصل إلى موضع الحجر الأسود، فقال إبراهيم لابنه: «أبغى حجراً أضعه ها هنا يكون للناس علماً يبتدون منه الطواف، فذهب إسماعيل يطلب له حجراً ورجع وقد جاءه جبريل بالحجر الأسود، فقال إسماعيل يا أبتي من أين لك هذا؟! قال: جاءني به من لم يكلني إلى حجرك، جاء به جبريل، وهو حينئذ يتلألأ من شدة بياض نوره شرقاً وغرباً»، ومنذ تلك اللحظة والحجر الأسود أحد أشهر وأهم وأقدم مكونات الكعبة المشرفة التي يحج إليها المسلمون من كل مكان في الأرض كركن خامس وأخير من أركان الإسلام المفروضة على كل من

استطاع إليه سبيلاً، ويكفيه قدراً أن يبدأ به الطواف حول الكعبة، وينتهي عنده، ومن دون مكونات الكعبة جميعها شرف الحجر الأسود بتقبيل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، له وهي السنّة التي أحياها خليفته أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه وأرضاه، بسبب رؤيته لتقبيل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، له، ولذلك أي زائر للكعبة المشرفة يتمنى أن ينال شرف تقبيل هذا الحجر الأسود واضعاً وجهه حيث وضع محمد، صلى الله عليه وسلم، وجهه، لكن هذا الشرف الرفيع لا يناله اليوم في ظل الزحام الشديد إلا القليل، بسبب تدافع الناس الذي لا يتوقف طول اليوم.

وقد مرت الكعبة بأحداث ومواقف كثيرة ارتبط بعضها بمولد سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام، عام الفيل، وفيها كان الفتح المبين فتح مكة: {إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً} (الفتح:1)، والذي كان من أبرز أحداثه تحرير الكعبة من هذه الآلهة المتعددة مئات الأصنام التي أخرجها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، مردداً مقولته المشهورة: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً)، كما شهدت الكعبة حجة الوداع التي خطب فيها الرسول، صلى الله عليه وسلم، خطبته الجامعة الشاملة التي هي دستور للأمة جمعاء قائلاً: «أيها الناس تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله.. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد»، وقبل ذلك بمئات الأعوام تلقى إبراهيم، عليه السلام، أمراً من السماء بأن يترك

زوجته هاجر وولده إسماعيل بمكة، وكانت وقتذاك صحراء قاحلة خالية من زرع وماء، ولما سألته هاجر، الأم والزوجة، عن أسباب ما يفعل، أخبرها أنه أمر من الله، فاطمئنت وقالت: (لن يضيعنا الله أبداً)، وتركته يذهب وكلها يَقين بأن الله لن يضيعها، ولن يضر طفلها، وقد حدث إذ منّ الله عليها بماء وفير، عندما أخذت بالأسباب وقامت تسعى أي تمشي وتهرول بين الصفا والمروة، كما يفعل اليوم طلاب العمرة والحج، بينما ضرب طفلها إسماعيل، عليه السلام، بقدمه الرقيقة الأرض، فأخرجت ماء من كثرته طلبت أن يذم أي يقلل من تدفقه الشديد، وسميت تلك المياه الكريمة مياه زمزم، وهي تلك المياه المباركة التي لا تزال تتدفق ويشرب منها زوار الكعبة مذ كانت قبل آلاف السنين وحتى الآن، وإلى ما شاء الله، والماء كما نعلم هو مفتاح الحياة الذي يترتب عليه وجود كل شيء، قال تعالى: {وجعلنا من الماء كل شيء}(الأنبياء:30).

وما من لحظة تمضي على مدار الساعة إلا هناك أشخاص من مكان ما بالعالم يدورون حول الكعبة المشرّفة، يلتمسون البركة بالقرب من ذلك البيت العتيق، يدورون حول الكعبة في تسليم وخشوع لا يتوقف، إلا في أوقات الصلوات الخمس، فهي القبلة التي يستقبلها المسلمون من كل أنحاء الأرض في صلاتهم، والصلاة فيها تعادل أجر مائة ألف صلاة في غيرها، ومن الطريف أن هذه الكعبة المقدسة كانت قبل الفتح الإسلامي

المبين متحفاً للآلهة، ومعرضاً للأصنام التي كان العرب القدماء يعبدونها ويؤمنون بها، وكانوا يحتفظون بها بالكعبة إلى أن أخرجها رسول الله محمد، صلى الله عليه وسلم، يوم الفتح المبين، وكان عددها 360 صنماً، كانوا بهذا المكان المقدس الذي كانت تهفو إلى زيارته القلوب مذ دعى إبراهيم، عليه السلام، ربه قائلاً: {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون}(إبراهيم:37)، ولذلك كانت ولا تزال تهفو إليها قلوب عباد الرحمن من كل مكان.

مصدر الصور: من معرض الحج: رحلة في الذاكرة - جامع الشيخ زايد الكبير/ أبوظبي

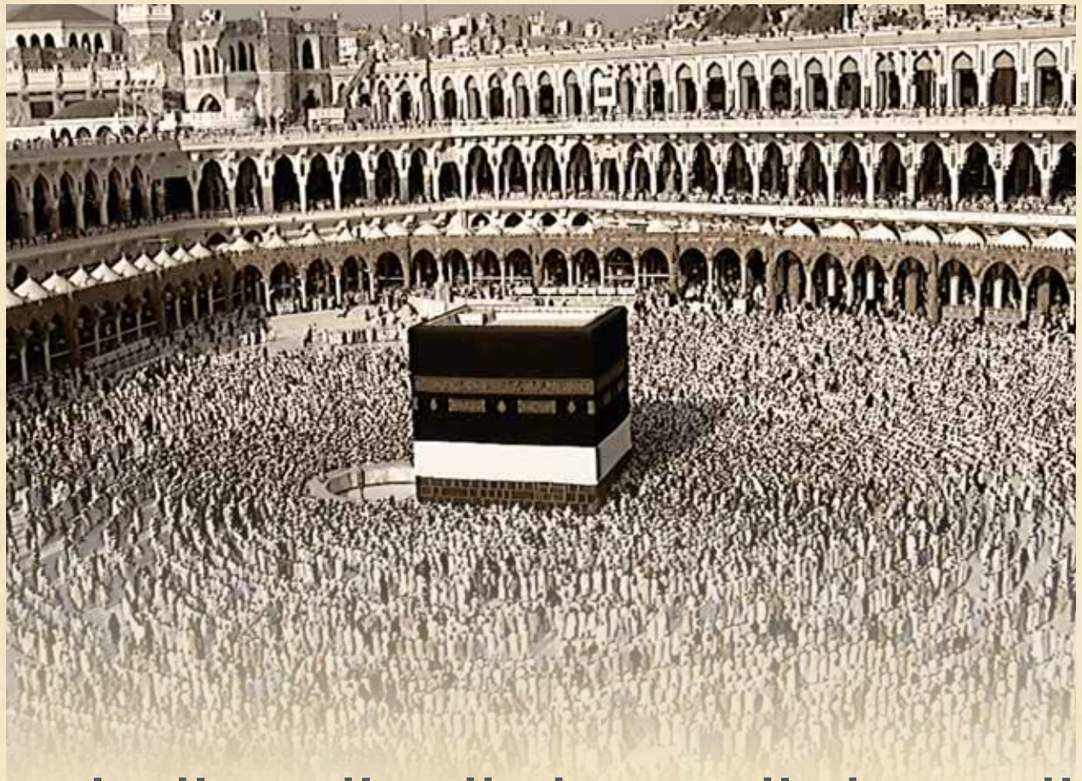

الحج: رحلة المستهام إلى البيت الحرام

الحج شعيرة من الشعائر المقدّسة، التي انبنى عليها الدين، ووثّقها التنزيل الحكيم، منذ رفع إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، الكعبة الشريفة، وأمر الله لنبيه إبراهيم، عليه السلام، بالنداء في الناس للحج، ليأتوه من كل فجّ عميق.

وقد دأب العرب قديماً على الحج، وكانوا يجيؤون إلى مكة من كل فج في الجزيرة العربية في موسم الحج، فتشهد مكة بذلك نشاطاً تجارياً واقتصادياً وثقافياً، وكانت لهم في الحج طقوس وتقاليد كثيرة ومتعددة الأوجه والسمات، ولا يتسع المقام لسردها، لكنها تشي في عمومها بتقديس هذه الشعيرة وموسمها وتاريخها الممتد في أعماق الذاكرة العربية.

كما تعبّر أقوالهم وأشعارهم التي كانت تروى في الأسمار وفي الوديان والقفار عن المكانة السامية للبيت العتيق في نفوسهم منذ قديم الأزمان، وذلك ما يحيل إليه زهير بن أبي سلمى بقوله:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم
يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم

ومنذ ذلك الحين أصبحت للحج شعائر ومواسم وتقاليد ثابتة تلقاها العرب غضة طرية.

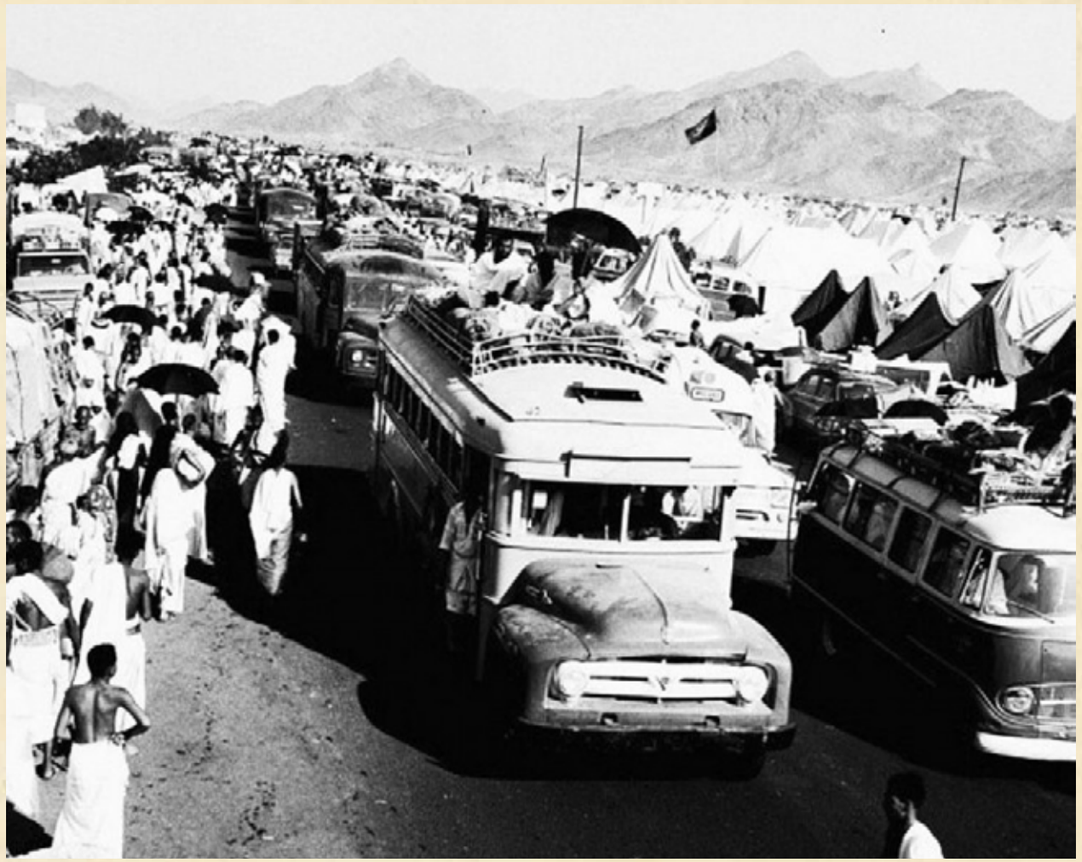

ويقول أبوطالب:

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم وقد قطعوا كل العُرَى والوسائل
أعوذ بربّ الناس من كلّ طاعن علينا بسوء أو ملحٍّ بباطل
ومِن حجيج بيت الله مِن كل راكب ومِن كلّ ذي نذر ومِن كل راجل
وبالمشعرِ الأقصى إذا عمدوا له إلالٌ إلى مفضى الشراح القوابل

ولقد اشتهرت أشعار سارت بها الركبان، وتناقلتها الناس في كل مكان وزمان، تحتفي بالحج ومكانته وقدسية مشاعره ومواقفه ومواطنه ومواسمه، وانتشرت في سائر البقاع والرقاع، وتلقاها الناس بالقبول والرضا، احتفاء بما تحييه في النفوس من لهفة وحنين وأشواق إلى تلك الأماكن المقدّسة.

بيد أن الرحلة إلى الحج وطريقه ومسالكه لم تكن مذللة ولا سهلة للعابرين، بل كانت وعرة محفوفة بالمخاطر، وقد لا يأمن فيها الإنسان على نفسه وماله وزاده، ومنهم من تتقطع فيه السبل، وتختلف به الدروب فلا يؤوب إلى أهله، ولا يبلغ غايته ووجهته، وقد اشتهرت في ذلك قصص كثيرة حوتها كتب الرحلات واليوميات، وتواريخ الأقطار وسير الأعلام والأمصار.

في هذا الملف سنتوقف عند بعض الومضات المشرقة والعلامات التي اختزنتها الذاكرة العربية عن قصص وحكايات وذكريات للحج، وسيرته ومسيرته في دولة الإمارات العربية المتحدة، وفي بعض الأقطار العربية.

الحج في الموروث الشعبي الإماراتي

تقاليد راسخة

د. سالم الطنيجي
كاتب وباحث تراثي ـ الإمارات

تعدّ فريضة الحج من أقدس الفرائض الإسلامية لدى المسلمين، وقد حرص أهل الإمارات على تأديتها منذ القدم ومهما كانت المصاعب والمشاق، إلا أنهم كانوا يقومون برحلات الحج على ظهور الإبل غير مبالين بالظروف التي تكتنفها المخاطر، ورغم أن هناك صعوبة بالغة لتحقيق هذا الحلم، فقد كان الحجاج يحملون متاعهم الذي يعينهم على نجاح هذه الرحلة الشاقة، التي تستمر نحو خمسة أشهر، لتبدأ مسيرة قافلة الحجاج المتوجهة إلى الأراضي المقدسة بعد انقضاء عيد الفطر مباشرةً، في أجواء من البهجة الممزوجة بالتفاؤل والقلق من عورة الطريق ومشقته، وقلة الماء وعدم معرفة المسالك والدروب، وخطر قطاع الطرق، إلى جانب انعدام الوسائل المعينة على الوصول الآمن للمنطقة المقصودة لديهم.

ارتبط أداء شعيرة الحج في الموروث الشعبي بالكثير من القصص والروايات التي تروى عن هذه الرحلات، من خلال الطقوس الدينية التي كانت تروي هذا الدور الذي يقوم به الحجاج من أهل الإمارات، قبل منتصف القرن الماضي، وأصبحت هذه العادات الشعبية من المحددات التي يأخذ بها أبناء المجتمع، وخاصة البدو أهل الصحراء، عندما ينوون الذهاب إلى المشاعر المقدسة لأداء فريضة الحج، ورغم قساوة الرحلة التي تبدأ من الذيد، وتنتهي في مكة المكرمة، إلا أنهم لا تثنيهم هذه الصعوبات عن أدائها، وتأتي هذه الرحلة إيماناً ويقيناً بوجوب أدائها كركن من أركان الإسلام، وعندما ننظر إلى العزيمة التي تدفع هؤلاء البدو الرحل لبلوغ فريضة الحج، نرى أنها من الثوابت لديهم، ويبذلون الجهد والغالي والنفيس للوصول إلى مكة المكرمة، ورغم أن الظروف المعيشية كانت في الماضي قاسية، والأكل كان شحيحاً، والصراع من أجل البقاء على أوجّه، والعيش في منطقة تلفّها صعوبة العيش من كل الجوانب، وفي جميع مراحل الحياة، إلا أنهم متفائلون كثيراً، وراضون بالنصيب، وقابلون بالشيء القليل، وهذا مردّه أن الحياة في الصحراء فضاء مفتوح، يتنقلون فيها بيسر وسهولة، ويصلون إلى مرادهم مهما طال الوقت، وهذا ولّد لديهم العزيمة، وأعطاهم الأمل والتفاؤل، وحسن الظن في الآخرين، كما أضاف لديهم عادات شتى منها القناعة والإرادة والرضا باليسير.

كان لدى البدو اعتقادات شعبية حين تدنو الرغبة لديهم لتأدية فريضة الحج، أن هذه الرحلة ستكون ميسّرة، وسهلة، كون إيمانهم بالله، جلّ وعلا، قوي، حيث إنه هو المعين والميسر والمسهّل والمعطي، والاعتقاد كما كنا نسمعه ويتردد على ألسنة الكبار منهم دائماً، أن الله، سبحانه وتعالى، يجعل رحلة الحج والزواج من الأمور التي لا يتعثر فيها الإنسان أبداً، ويأتي الفرج والعون والتسهيل من عنده لمن رغب في أدائهما.

طقوس قديمة

كان الحاج إذا نوى الذهاب لأداء فريضة الحج يخبر أهل بيته، وأقاربه وأخوته، وهنا تنطلق له الدعوات بالذهاب والعودة سالماً غانماً، وأن يبلغه مكان الوصول، ويقوم بالمرور على جميع أهله وأرحامه، طالباً منهم الصفح والمسامحة، وبعد أن يتسامح معهم، يقوم بدفع جميع المطالبات المالية عليه، إن وجدت، وكان الكثير من الحجاج لا يعودون مرة أخرى، ويتوفاهم الله أثناء رحلة الذهاب أو الإياب، كان يودّعهم أهلهم الوداع الأخير، وداع المتلهف للقاء ربه، وزيارة نبيّه وبيته الحرام، كان الحاج يعدّ أحسن المطايا من العام للعام، ويقوم برعايتها وإطعامها وإعدادها لرحلة طويلة تمتد لخمسة أشهر، يختار أفضل ما لديه من البكار الأصحاء، وعادةً يأخذ معها اثنتين، واحدة لحمل الزاد ومتطلبات الرحلة من ماء وأكل وأغطية وفرش، والأخرى تستخدم للركوب، كذلك يأخذ معه ورقة مرور من المعتمد البريطاني في دبي، وهي تماثل جواز السفر في وقتنا الحاضر، أيضاً يقوم بالتطعيم ضد الأمراض، من خلال شخص يسكن في الشارقة ويدعى عبدالعزيز المزروع، يقوم بتطعيم الحجّاج من استخدام النار، ووضع جرعة التطعيم في الكتف، ويصابون بحمى لثلاثة أيام، وبعد أن تخف الحمى تبدأ الرحلة بالمسير، ومن المؤن التي تؤخذ معهم، الأرز و«المالح» أي السمك المملح، و«العوال» وهو السمك المجفف، والسكر والسمن والعسل، فيما يحملون الماء في «السعن»، وهو وعاء من الجلد يوضع فيه الماء، إضافة إلى ذلك يحملون التمر كغذاء للإبل أثناء الرحلة، ويغطونها بالخيش لحمايتها من برودة الطقس، ويجمعون لها أثناء الرحلة أوراق شجر السمر، ويقومون بطحنها وعجنها ليطعموا بها الإبل، لكي تقوى على المسير في هذه الرحلة الطويلة.[1]

بداية الرحلة

ورحلة الحج عادةً هي رحلة طويلة تحتاج إلى شهرين كاملين للذهاب، ومثلهما للإياب، تنطلق الرحلة من المنطقة الوسطى على أطراف إمارة الشارقة، تتحرك القافلة بعد عيد الفطر المبارك مباشرةً متجهة للمنطقة الغربية في أبوظبي، وهناك يتم استئجار دليل لقطع الصحراء للوصول لمنطقة الأحساء بالمملكة العربية السعودية، وعند بلوغ القافلة السعودية، يتم استئجار دليل سعودي آخر، بعد الاتفاق معه لقيادة القافلة للمدينة المنورة، وعادةً القافلة تتكوّن من عشرة حجاج أو أكثر قليلاً، كل حاج لديه مطيتان، والرحلة تكون سيراً طول اليوم والليل، هناك ساعات بسيطة من الليل الأخير فقط تخصص لراحة الإبل، وذلك لكيلا يؤثر فيها التعب، وتكون بكامل صحتها دون حمل بدني كبير.

خط سير الرحلة

وعندما تنطلق الرحلة من الدّيد، وهم في الطّريق سائرون يلتحق بهم النّفر والاثنان والجماعة، يعبرون الوديان والشِّعاب والسّيوح والسّهول، حتى تتجمّع القوافل في منطقة مزيرع، كما يلتقي هناك حجّاج المدن السّاحليّة، مثل: رأس الخيمة وأمّ القيوين وعجمان والشّارقة، ومنها غرباً إلى الخوانيج في إمارة دبي، ثمّ إلى موضع ذباح القريب من جبل علي، ثمّ إلى موضع بوصلف قرب المفرق في إمارة أبوظبي، لتتّجه غرباً صوب موضع العجيلة، ثمّ تنطلق في خطّ مستقيم نسبيّاً إلى منطقة السلع وسبخة مطّي، ثمّ إلى جنوبيّ قطر فقرية سلوى للتزوّد بالمياه، ومنها إلى موضع البحث (وهو مورد ماء يقع في الجانب الشماليّ من الرّبع الخالي)، ومنها إلى الأحساء، وبعد مسيرة أسبوعين تصل إلى موضع الفروق ثم بوليفان (ويوجد موضع في المنطقة الشّرقيّة يدعى البوليات حاليّاً، وهو عبارة عن مجمع مياه)، بعد سير خمسة أيّام، وبها آبار للمياه العذبة، ومنها إلى المريغات شرق مطار الرياض حاليّاً، وبهذا المكان استراحة للحجّاج فيها الأكل والشرب، (وفي حقيقة الأمر، لم أهتدِ إلى معرفة هذا الموضع، ولكن بصورة عامّة فإنّه في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله، قد أقيمت العديد من المخيّمات الكبيرة خارج مدينة الرّياض، وجرى تزويدها بالموظّفين اللازمين من رجال الأمن والصّحة لاستقبال الحجّاج القادمين والإشراف على راحتهم).

ومن الرياض، تنطلق القوافل جنوباً صوب بلاد قحطان فالدّرعيّة فالطّفّة والبقرة فالمويّة (ويوجد أكثر من موضع يرد فيه اسم «المويه»، في منطقة القصيم، و«المويه الجديد» و«المويه القديم» في منطقة مكّة المكرّمة، و«مويه الذيب» في منطقة الرياض)، حتى عشيرة (وتقع فيما يبدو ضمن منطقة مكّة المكرّمة)، وفي منطقة الجزيمة، حيث يحرم الحجّاج (ولكن من المعروف أنّ القادمين للحجّ من مناطق نجد وعمان أو المارّين بها من تلك الأنحاء، يحرمون في ميقات «قرن المنازل» أو «قرن الثعالب» المسمّى حاليّاً باسم «السّيل الكبير»، وهو يبعد عن مكّة بنحو 94 كم)، ثمّ تمرّ القوافل على أفلاج مياه في طريق دخولها إلى مكّة.

طريق العودة

ويكون طريق العودة من المدينة إلى الرياض في نحوٍ من 24 يوماً، ثم إلى الأحساء في نحو خمسة أيّام، ومنها إلى العقير، حيث يستقلّ بعض المسافرين المراكب مقابل روبيّتين كأجرة، إلى البحرين.

وبعد قضاء بضعة أيّام فيها، يسافرون منها على ظهر إحدى البواخر إلى دبي، بنحو 6 روبيّات، وممّا زاد من سعادة الحجّاج أنّ الملك عبدالعزيز آل سعود قد أعفى القادمين منهم على ظهور الإبل من دفع ضريبة الحجّ.

كما وفّر لهم استراحات على الطّريق، تستضيف المسافرين، وتكرمهم، وذلك عند وصول قوافلهم إلى موضع المريفات الذي أشرنا إليه سابقاً. وكان الحجّاج يبحرون من دبي إلى البحرين، فيبقون فيها مدّة، ومنها بحراً إلى الخُبَر، ومنها يركبون شاحنات ضخمة مكشوفة تقطع البراري والقفار في 7 أيّام إلى المدينة، وكانت تلك المركبات مشحونة أيضاً بالأغراض والقدور وأدوات الطّبخ وقِرب الماء.[2]

بعد أن ينقل المبشر الخبر بقرب ميعاد الوصول تبدأ الأسرة بالاستعداد لاستقبال العائدين من الديار المقدسة، وفور دخول الحاج إلى المنطقة التي يسكن فيها، يبدأ بعض الأهالي والجيران بإطلاق عدد من طلقات بندقية خاصة بالاحتفالات إعلاناً عن وصول الحجيج.

بعدها يبدأ الأهل والجيران بالتوافد لبيت الحاج لتهنئته بالعودة، وبدوره يقدم صوغة الحاج التي كانت قديماً عبارة عن ماء زمزم وتمور المدينة وكحل الإثمد وهو كحل حجازي يسحق للتزيين، وكذلك بعض دلال النحاس للقهوة.[3]

ملابس الإحرام

في الماضي كان الحجاج يبدؤون رحلة الحج مباشرة بالذهاب إلى مسجد رسول الله بالمدينة المنورة، والبقاء فيها مدة لا تقل عن عشرة أيام، ومنها تنطلق أفواج الحجيج إلى مكة المكرمة، حيث يقوم الحجاج بشراء ملابس الإحرام من المدينة المنورة، ويتأهبون بالدعاء والتضرع لله سبحانه وتعالى للوصول إلى مكة المكرمة؛ لذا عند الميقات، وهي أبيار علي، يتم ارتداء ملابس الإحرام، وتبدأ رحلة الحج بالتكبير والتهليل «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله.. الله أكبر الله أكبر ولله الحمد»، تصدح الحناجر وتتردد الأصوات في سيارات النقل الجماعي للحجاج طوال المسافة التي تقدر بـ450 كم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، وتبدأ الرحلة بالطواف والسعي وأداء مناسك الحج من الوقوف بعرفة وطواف الإفاضة ورمي الجمرات والتحلل من الإحرام، وكذلك ذبح الأضاحي، كان الحجاج يتنقلون من مكة إلى عرفة على ظهور الجمال التي جاؤوا بها من الإمارات.

العمى بسبب البكاء

من الطرائف التي حدثت ويقولها الراوي راشد بن عبيد بن حمود، من الذيد، أن المرحوم سيف بن عبيد بن مترف، كان من الذين ذهبوا لأداء فريضة الحج، وكانت والدته تخاف عليه كثيراً، وهي مبصرة، ولكنها كانت تبكيه يومياً لشدة تعلقها به، ويأسها الشديد بعدم رؤيته مرة ثانية، هذا البكاء المستمر أودى ببصرها، من حرقة البكاء، ولكنه عندما عاد ووصل الخبر والبشائر بوصول الحجاج وعودتهم ووصلها الخبر لم تصدق ذلك بعد بلوغ مرحلة اليأس من عدم رؤيته مرة أخرى.

أمطار وبرد

ومن المفارقات التي ذكرت أن أداء فريضة الحج كان يتم في فصل الشتاء، وكان الحجاج كثيراً ما تواجههم البرودة الشديدة، خاصة أن شبه الجزيرة العربية مناخها قاري، يتسم بالبرودة الشديدة، والطريق إلى المدينة المنورة فيه وديان وجبال وشعاب، ولكن البرد كان العدو الحقيقي لهم، وحتى البقاء بالمدينة المنورة، إذ فيها برودة لا يطيقها الحجاج، وأيضاً كان الحجاج يستخدمون مياه الأمطار التي كانت موجودة في الوديان للشرب وللوضوء، ولسقي الرواحل التي بمعيّتهم.

التهنئة والتبريك

يصل الحجاج من الديار المقدسة، بعد معاناة وإرهاق شديدين، لطول مسافة السفر التي تزيد على أربعة آلاف كيلومتر ذهاباً وإياباً؛

لذا علامات الإرهاق والتعب تبدو واضحة على وجوههم، ولكن فرحة العودة لا تضاهيها فرحة، وعند سماع الخبر يقوم الجيران والأهالي وأهل الحاج بالذهاب للسلام والاطمئنان والتبريك لتأدية هذه الفريضة المباركة وكذلك السؤال عن بقية الحجيج، وسماع المواقف والطرائف التي صادفتهم أثناء المسير للحج، وهنا تعطى الذبائح احتفاءً بالوصول، وكذلك أكياس الرز (السوقندي)، وتبقى الاحتفالات والحديث في هذه الفترة عن الحجيج فقط، لمدة عشرة أيام.

ما بعد الحج

تأدية فريضة الحج تكون حلماً لكل من يريد أداء الفروض والأركان الدينية، ومن أدى هذا الفرض يكون في قمة السعادة، وإكمال الدين، ويطلق عليه لقب الحاج، وهنا يكون إنساناً آخر غير الذي ذهب قبل فريضة الحج، ويقول راشد بن عبيد بن حمود الطنيجي: إن الحاج يصل لقناعات بضرورة المحافظة على الحج، من خلال الالتزام السلوكي والأخلاقي، والبعد عن اللّغو والحديث الآثم، وكثيراً ما كنا نلاحظ أن الحاج يترك المجلس الذي يكثر فيه اللّغو والغِيبة، وهذه هي القيمة الجديدة التي أضافت للحاج معنى لأداء فريضة الحج، فالالتزام كان في الماضي سمة من سمات الحاج المدرك لقيمة وأثر الحج في النفس البشرية، وكذلك لعدم تناسب السلوك غير المقبول مع سمعة الحاج.

سلطان بن سالم القاسمي والحج

أدى الشيخ سلطان بن سالم القاسمي، حاكم رأس الخيمة السابق، رحمه الله، الحج مرتين، الأولى الحج على الجمال عن طريق البر ، ويقول راشد بن عبيد بن حمود الطنيجي إن الشيخ سلطان بن سالم القاسمي، طلب من الوجيه

خلفان بن سيف بن مترف الطنيجي، رحمه الله، اثنتان من النوق الأصايل، الأولى بنت شمطير، والثانية بنت بُو سْرّ (ضبيان)، وكانت هاتان الناقتان من النوق الأصايل ومن النوق المعروفة لدى أهل البادية، وتم الاتفاق على إعطاء النخل المملوكة للشيخ سلطان بن سالم القاسمي، مقابل الناقتين رأساً برأس، مع تحويل سقي الماء (سدسين) لخلفان بن سيف بن مترف، ورافق الشيخ سلطان بن سالم القاسمي الحاج بن صليج وبورقيبة، وهما من أهالي إمارة رأس الخيمة، وعند العودة من أداء مشاعر الحج، قام الشيخ سلطان بن سالم القاسمي بإهداء الناقتين لأمير الرياض في ذلك الوقت، وعاد للدمام بالسيارة، ومنها بحراً لإمارة دبي، والانتقال لرأس الخيمة.

وفي الرحلة الثانية للحج التي قام بها الشيخ سلطان بن سالم القاسمي، طلب كذلك شراء بكرتين من السيد خليفة بن مطر الطنيجي، ودفع له مبلغاً وقدره 750 روبية، حيث إن البكار تعد من بنات البعير ضبيان – وهو من الزمول الأصايل، وتم إعدادهن للسفر لأداء فريضة الحج، وكان الحجاج قديماً يبحثون عن النوق الأصايل، لكي يضمنوا الوصول الآمن لهم في هذه الرحلة الطويلة.

علي بن غرير وعمل الخير

وأضاف الراوي راشد بن عبيد بن حمود الطنيجي، أن علي بن مطر بن غرير أدى فريضة الحج مع الحاج مبارك والد الصغير بن مبارك، الذي يسكن في منطقة البرير الجنوبي في وقتنا الحاضر، ساروا على ظهور المطايا، وقد عاش علي بن غرير، رحمه الله، 120 سنة، كان رجلاً خيّراً وكريماً ومعيناً لمن يطلب منه خدمة، كان الكثير من البدو في ذلك الوقت يلجؤون إليه لشراء المطايا لمعرفته بالناس، وتقديرهم لشخصه، وكان يبيع المطيّة بالقيمة نفسها التي اشترى بها، لا يرضى بالزيادة من المال على السعر الذي اشترى به، وكانت هذه السمة متداولة عنه، لإيمانه بضرورة العون والمساعدة لمن يطلب منه ذلك، عند العودة جاؤوا بحراً من الدمام إلى دبي، وواجههم الخب والأمواج العالية، وأصيبوا بالغثيان ودوار البحر والإرهاق الشديد.

حجاج كثر

في الخمسينيات من القرن الماضي توجه عدد كبير من الذيد لأداء فريضة الحج، وانطلقت الرحلة من الذيد إلى دبي ومنها (باللنج) بحراً للدمام، ومن الدمام بالشاحنات الثقيلة التي تستخدم لنقل الأمتعة والبضائع للمدينة المنورة وقد تحملوا عناء الرحلة وعواقبها في سبيل تأدية فريضة الحج ومن هذه الأسماء :

- راشد بن عبيد بن حمود الطنيجي
- زايد بن خليفة بن مطر
- محمد بن مسعود بن حامد
- راشد بن جاسم بن عبيد
- سالم بن عيسى الطنيجي
- احمد بن سيف بن احمد
- سعيد بن حميدان الطنيجي
- محمد بن عبدالله المحيان الكتبي
- محمد الصحيبي الكتبي
- علي الضبعة وشقيقه سلطان الضبعة
- سالم بن محمد بن هويدن.

ختاماً

كان لفريضة الحج في الماضي طقوس دينية معينة، ورغم المعاناة الكبيرة التي يواجهها الكثيرون، إلا أن ذلك لا يثنيهم عن تأديتها، الثقافة الدينية لديهم كانت ضعيفة في كثير من تفاصيل الدين الإسلامي، ولكنهم مؤمنون بالفطرة، ولديهم الرغبة في التعلم والتزود بالدين الإسلامي، كانوا يسألون عن الطواف والسعي والوقوف بعرفة ورمي الجمرات والتحلل من الإحرام وذبح الأضحية وشروطها، عرفوا الكثير عن الدين الإسلامي من خلال حلقات الذكر والمحاضرات التوعوية التي كانت تقدم لهم، وكذلك بسؤال المشايخ الذين كانوا بالحرم.

المصادر والمراجع

1- إيناس محيسن، جريدة الإمارات اليوم 2015/9/20م.

2- حمد بن صراي، جريدة البيان 2018/8/17م.

3- أميرة عبدالحافظ، جريدة الخليج 2013/10/18.

رحلة الحج قديماً

أسماء الزرعوني

شاعرة وروائية إماراتية

asma_alzaroni@hotmail.com

في طفولتي عرفت أن الحج ركن من أركان الإسلام، عرفت الصلاة والصوم والحج قبل معرفتي بمقاعد الدراسة، التي كانت تبدأ حينها في السابعة من العمر، عرفته من والديّ، فقد كانا حريصين على تعليمنا أركان الإسلام قبل دخولنا المدارس، وعرفت الحج أكثر في شهر ذي القعدة، حيث كانت الناس تذهب لتوديع الحجاج في البيت، وفي المطار، ونحن الصغار كنا فرحين بأن الحجيج سيعودون محملين بالهدايا: آلة التصوير التي كنا نحركها يميناً ويساراً، ونرى فيها صورة الكعبة المشرّفة والحجر الأسود، وأركان الحج.. كنا ننتظر العقد نحن البنات والأولاد فرحين بالكوفية والصفارة والأعلام الخضراء ترفرف على البيت، فرحين بعودة الحجيج، ولا أنسى يوم سفر والديّ للحج، فقد كاد الخوف يقتلني، كنت أسمع القصص والحكايات، إذ كانت رحلة الحج تستغرق الإقامة نحو شهر ونصف الشهر، ويقضونها بين مكة والمدينة، وزيارة المسجد النبوي الشريف، وكان الاتصال صعباً، فمن الممكن أن نتلقى اتصالاً أو اثنين طوال المدة.

لا أعرف كيف أصف شعوري عندما سمعت بحريق منى، بقيت أياماً أنا وأخوتي والأهل والجيران نتجرّع الخوف، حتى تلقينا اتصالاً من والدي، رحمة الله عليه، يطمئننا على صحة الجميع، وأنهم قريباً سيرجعون بعد انتهاء موسم الحج، كنا ننتظر عودة الحجيج يومياً، نذهب إلى المطار نحن والجيران، أكملنا أسبوعاً ونحن على هذه الحال، كانت فرحتنا عند قدومهم لا توصف، أقمنا الولائم ورفعنا الأعلام على المنازل، وكثرت «العزائم»، والكل يتسابق من الأهل والجيران ينتهي شهر ذو الحجة، ومازالت الناس تتزاور وتسرد الحكايات التي صادفتها، والتعب والحرائق وغيرها من الحكايات المسلية والحزينة أحياناً، هكذا كان الحج في طفولتي. وعندما كبرت قليلاً، وتعلمت الكتابة، سألت والدي، رحمة الله عليه، كيف كان الحج في طفولته؟ أخبرني بأن رحلة الحج كانت صعبة جداً، في ذلك الوقت كانت تسير عبر القافلة، وتستمر نحو خمسة أو ستة أشهر في الذهاب والعودة، وكان الطريق وعراً، والصحراء قاسية، وهناك قطاع الطرق، وغيرها من الصعوبات التي كانت تواجه الحجيج، إضافة إلى قلة المأكل والمشرب، والخوف يراود الجميع هل سيعودون؟ رغم تلك المخاوف كانوا يصرّون على أداء هذه الفريضة، وخاصة من يستطيع إليها سبيلاً. وكان عدد الحجاج بين 15 و20.

الحجّ في الإمارات في الماضي
شوقٌ يتسامى على المشقة والتعب

يسرى ناصر المهنا
كاتبة صحفية ـ العراق

الحج إلى الأراضي المقدسة هوى أفئدة المسلمين، وأعظم أمنياتهم إليه، يَشدّ الرحالَ كلُّ مشتاق إلى بيت الله الحرام، وكلّ راغب في إتمام أركان دينه الخمسة. فحج بيت الله الركن الخامس من أركان الإسلام، الفريضة التي يحرص كل مسلم على أدائها إن استطاع إلى ذلك سبيلاً، ممنّياً النفس بالمغفرة من كل الذنوب والآثام، ليعود إلى ديارِه نقياً كما ولدته أمه.

وقد كان الإماراتيون في الماضي، (كما في الحاضر)، أسوة بكل المسلمين في كل بقاع الأرض، يحرصون على أداء هذه الفريضة الغالية على أنفسهم، رغم المشاق والصعاب التي كانوا يواجهونها، فالصحارى الشاسعة القاحلة التي يقطعونها على رواحلهم، والشمس المحرقة التي تسلط أشعتها على رؤوسهم، والرياح الساخنة المحمّلة بالأتربة التي تلفح وجوههم، والبرد الصحراوي القارس في الشتاء، ليست كل المشقة التي كانوا

د. سيف البدواوي

يواجهونها، فقطّاع الطرق في الماضي، وقبل فرض الأمن والنظام، كانوا يصولون ويجولون، يتربصون بالقوافل القادمة بغية الهجوم عليها، وسلب ممتلكات أهلها، وهوام الصحراء من عقارب وأفاعي أو حيوانات مثل الذئاب والضباع، تهدّد حياة ركاب القافلة في غفلة منهم، كما قلة الزاد والماء، وانتشار الأمراض وغيرها من مشاقّ وصعوبات، كلها كانت تواجه الحجيج في رحلتهم صوب الديار المقدسة.

وقد كان موسم الحج عند الإماراتيين يبدأ قبل أشهر عدة من موعده المحدد، فتجهيز القوافل المتجهة إلى بيت الله، وتزويدها بالمتاع يعدان من الخطوات الرئيسة لبداية الانطلاق، فالطريق إلى مكة على ظهور الدواب يستغرق بين ثلاثة أشهر وستة أشهر، ورحلة العودة قد تستغرق الوقت نفسه، حتى إن البعض قد يقضي سنة كاملة في الذهاب والعودة.

ويتحدث الباحث عبدالله عبدالرحمن في كتابه «الإمارات في ذاكرة أبنائها»، عن الحج في الماضي، ويقول «إن قيادة قوافل الحج في الصحراء كانت تتم بالاعتماد على خبراء يعرفون الطريق، وأماكن آبار المياه الصالحة للشرب، وأماكن توافر الكلأ التي ترعى فيها الإبل، وأماكن تحصل فيها الإبل على قسط من الراحة قبل استكمال المسير، وكانت الرحلات تبدأ مع انتهاء عيد الفطر، وبداية شهر شوال».

ويضيف «قبل قرن أو أكثر كان طريق الحج البري محفوفاً بالمخاطر، إذ يعد الحاج في ذلك الوقت شبه مفقود، فقد يعود إلى أهله أو لا يعود؛ بسبب انتشار الأمراض والحيوانات المفترسة، إضافة إلى الجوع وانتشار قطاع الطرق، والشخص الذى ينوي الحج يبدأ في البحث عن الرفقة الصالحة الطيبة التي تساعده على الخير، وتسعى إليه، ثم يقوم بتجهيز راحلته من الجمال، وعادة يجهز الحجاج قافلة كبيرة من الإبل، جزء منها لركوب النساء والرجال، وجمل يحمل الحطب، فيما تخصص أربعة جمال لحمل الطعام والزاد من مختلف أنواع المؤن والمواد الغذائية، مثل الأرز و(المالح) أي السمك المملح، و(العوال) وهو السمك المجفف، والسكر والسمن والعسل، فيما يحملون الماء في (السعن) وهو وعاء من الجلد يوضع فيه الماء، إضافة إلى الأسلحة النارية الخفيفة، مثل البنادق التي يحملها الحجيج معهم اتقاء خطر وأهوال الطريق وللصيد، ويحملون التمر كغذاء للإبل أثناء الرحلة، ويغطونه بالخيش لحمايته من الطقس، ويجمعون أثناء الرحلة أوراق شجر السمر، ويقومون بطحنها وعجنها ليطعموا منها الإبل، لكي تقوى على المسير في هذه الرحلة الطويلة».

وحول رحلة الحج في الإمارات في الماضي، يوضح الدكتور سيف البدواوي (باحث

عتيق القبيسي

وأكاديمي)، أن الحج في الإمارات نوعان، حج أهل الساحل أو الحضر، وحج أهل البادية، فحج الحضر كان يتم عن طريق البحر بوساطة السفن الشراعية التي تتوجه من موانئ ومرافئ الإمارات إلى موانئ المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، ومن هناك يستأجرون قوافل تتجه بهم نحو الخبر والدمام، ليرتاحوا ويواصلوا من ثم مسيرهم نحو الديار المقدسة، أما أهل البادية فقد كانت وسيلة النقل عندهم هي الجمال فقط، فكانوا يستغرقون في رحلة الحج خلال الذهاب والعودة فترة قد تصل إلى السنة، وفي فترات لاحقة بعد ظهور السيارات كانت وسيلة النقل هي «اللوريات»، وذلك في فترة الخمسينيات والستينيات، وبسبب طول فترة البعد والفراق يتسرب اليأس إلى الأهالي أحياناً من عودة حجيجهم، فيحتسبونهم عند الله. ويضيف الدكتور البدواوي «يواجه الحجاج في الماضي مخاطر لا حصر لها، قسوة الصحراء، وشحّ المياه والطعام، واحتمال تعرّض القوافل لهجوم قطاع الطرق، كل هذه وغيرها من مخاطر كانت تتربص بالحجيج، لكنهم على الرغم من ذلك

محمد نور الدين

فـإن إيمانهـم وشـوقهم يخففـان مـن مشـقة هـذه الرحلـة الإيمانيـة العظيمـة».

ويحدثنـا الدكتـور البـدواوي عـن عـودة الحجيـج إلى ديارهـم، حيـث يحتفـل الأهالي بهـم ويفرحـون بعودتهـم فرحـاً كبـيراً، فترفـع الأعـلام الخضـراء عـلى البيـوت التـي لديهـا حـاج أو أكـثر، ويـأتي النـاس للسـلام عليهـم، ولتهنأتهـم والتـبرك بهـم، ويعـدّ يـوم عـودة الحجيـج إلى الديـار عيـداً كبـيراً يحتفـي بـه كل أهـل الفريـج أو الحـي، فتقـام الولائـم وتذبـح الذبائـح ويرقـص الرجـال الرقصـات الشـعبية مثـل الرزيـف، ويطلـق الرصـاص في الهـواء.

ويحدثنـا عتيـق القبيـسي (باحـث في التراث الشـعبي)، عـن التحضـيرات والتجهيـزات التـي تسـبق الحـج، فيقـول: «يقـوم الراغبـون في الحـج بالتجهز قبل سـتة أشـهر مـن الحـج، ومـن تلـك التحضـيرات تجميـع كميـات مناسـبة مـن المـواد الغذائيـة، التـي تشـمل السـح (التمـر) والقهـوة والأسـماك المملحـة والأرز والسـكر والأعشـاب الطبيـة التـي قـد يضطـرون إلى اسـتخدامها عنـد تعرضهـم للأمـراض الشـائعة آنـذاك».

ويتحـدث عتيـق القبيـسي عـن المصاعـب التـي تواجـه الحجـاج في طريقهـم للحـج، ومنهـا بُعـد الطريـق ومشـقته، وانتشـار قُطـاع الطـرق في ذلـك الزمـن، والوحـوش والعقـارب والأفاعـي.

كـما يتحـدث عـن الشـخص المتخصـص بقيـادة حملـة الحـج، حيـث إنـه يعـرف الأماكـن الأكـثر أمانـاً والتـي يجـب أن تتوقـف فيهـا القافلـة للراحـة، والطـرق التـي تسـلكها، وأماكـن وجـود الآبـار والميـاه. ويصـف القبيـسي الاحتفـالات التـي تقـام بعـد عـودة الحجـاج، حيـث يضـع أهـالي الحجـاج أعلامـاً خـضراء اللـون عـلى أسـطح البيـوت، ليعـرف النـاس أن هـذا البيـت فيـه حـاج أو حجـاج. ويضيـف القبيـسي، «كان النـاس في المـاضي يحجـون مـرة واحـدة في العمـر فقـط، وكانـت الاسـتعدادات جيـدة، وتضمـن للحـاج ألّا يحتـاج إلى شيء ولا تحتـاج أسرتـه، حيـث إنـه يضمـن معيشـة أهلـه خـلال غيابـه الطويـل. ولـدى عـودة الأب أو رب الأسرة والأم مـن الحـج، يعـمّ الفـرح والسـرور العائلـة كلهـا، حيـث يلتقـي الأبنـاء والآبـاء ببعضهـم، بعـد طـول غيـاب وفـراق، فيصبـح هـذا اليـوم عيـداً كبـيراً للعائلـة».

كـما يتحـدث محمـد نـور الديـن (باحـث في الـتراث الشـعبي)، ويقـول «قبـل توجـه الحجـاج للديـار المقدسـة، وبعـد الانتهـاء مـن التحضـيرات، يقومـون بالوصيـة تحسـباً لأي مكـروه يصيبهـم»، ويضيـف «كل حـاج ينـوي السـفر عليـه تأمـين بيتـه وأهلـه في كل حاجاتهـم، مـن نقـود ومـواد غذائيـة مـن طحـين وأرز وتمـور، وغيرهـا مـن الأشـياء التـي تعينهـم عـلى قضـاء هـذه الفـترة الطويلـة دون الحاجـة لأحـد، إضافـة إلى أن أهـل الفريـج أو الحـي يتولـون رعايـة هـذه الأسرة، في أجـواء مـن المحبـة والتكافـل، مطعّمـة بشـيمة الكـرم التـي تميـز المجتمـع في الإمـارات».

ويقـول محمـد نـور الديـن «يقوم الشـخص

فاطمة المغني

الـذي نـوى الحـج بطلـب السـماح مـن جيرانـه ومعارفـه، إن كان هنـاك أي خـلاف بينـه وبينهـم، ويحـرص عـلى أن تكـون العلاقـة مـع الجميـع جيـدة، قبـل التوجـه إلى رحلـة الحـج التـي كانـت تمثـل حدثـاً سـعيداً لـكل أفـراد الفريـج، وليـس لأهـل الحـاج فقـط».

وتقـول فاطمـة المغنـي (باحثـة في الـتراث الشـعبي)، «التجهيـزات تبـدأ قبـل الحـج بسـتة أشـهر عـلى الأقـل، حيـث يخـبر الشـخص الـذي نـوى الحـج أهلـه ومعارفـه وأهـل الفريـج برغبتـه في أداء فريضـة الحـج، أو (الحـي كـما كان يقـول أهـل الإمـارات). وكانـت حمـلات الحـج في المـاضي وحتـى بدايـة السـبعينيات وقيـام الاتحـاد تعتمـد عـلى الرفقـة الطيبـة الصالحـة، وبقيـادة شـخص موثـوق، ثـم بعـد ذلـك أصبحـت حمـلات الحـج منظمـة بشـكلها الحديـث»، وتضيـف فاطمـة المغنـي «في المـاضي لا تقـل مـدة الرحلـة عـن ثلاثـة أشـهر، ولا يشـعر النـاس خلالهـا بالمشـقة الشـديدة، بسـبب قـوة الـوازع الدينـي، وحسـن الاسـتعدادات، وغالبـاً مـا تنضـم الزوجـة إلى زوجهـا في رحلـة الحـج، حيـث تعـد فرصـة كبـيرة لهـا لأداء الركـن الخامـس، والسـفر كان يتـم عـلى راحلـة أو ركاب أو مركـب، إذا كان الحجـاج مـن الحـضر سـكان السـاحل، وقبيـل انطـلاق الحجـاج يـوصي الحـاج عـلى أهلـه ومالـه وحلالـه وعـلى أبنائـه إن كانـوا صغـاراً، ويـؤدي حقـوق النـاس قبـل أن يطلـب السـموحة (السـماح) مـن النـاس، وإذا كان الشـخص مديونـاً فـلا يذهـب إلى الحـج قبـل أداء مـا عليـه مـن ديـون، وقـد يرهـن بعـض حلالـه أو نخيلـه، ويعتـبر هـذا بـراءة ذمـة أمـام النـاس؛ لأن الحـج لمـن اسـتطاع إليـه سـبيلاً. ومـن العـادات الشـائعة أن يأخـذ الشـخص والديـه للحـج إذا كانـا عـلى قيـد الحيـاة، ولم يسـبق لهـم الحـج».

وعـن احتفـالات عـودة الحجيـج تقـول فاطمـة المغنـي «قبـل عـودة الحجيـج يرسـل مسـؤول الحملـة تلغرافـاً إلى مكتـب البريـد، ليخـبر أهـل البلـد بقـرب عودتهـم، وأن الحـج قـد تـم عـلى خـير، أو يخبرهـم إن تـوفي أحـد الحجـاج، ليصـل الخـبر إلى أهـل المتـوفى، وقبـل رجـوع الحجـاج يرفـع الأهـالي العلـم أو البنديـرة الخـضراء عـلى بيـت الحـاج. وقبيـل وصـول الحجـاج يتوجـه أحـد الرجـال عـلى راحلتـه إلى مـكان يتوقـع مرورهـم عليـه في طريـق العـودة، ويترقـب اقترابهـم، حتـى إذا لمـح قافلتهـم مـن بعيـد قفـل راجعـاً إلى الديـار بأقـصى سرعـة، منادياً بأعـلى صوتـه (البشـارة، البشـارة)، ويلقـب هـذا الرجـل بالمبـشر، ويحصـل عـادة عـلى هدايـا رمزيـة، ويسـتعد الأهـالي بعـد تلقيهـم البشـارة بعـودة الحجـاج، بتنظيـف المنـازل وتجهيزهـا، وتضـع الزوجـات الحنـاء والطيـوب. وخـلال الاحتفـالات بوصـول الحجـاج يقـوم الأهـالي بنـثر الحلويـات والريحـان عـلى الحجـاج، ويهنئونهـم بقـول (حـج مـبرور وذنـب مغفـور)، ويُحـضر الحجـاج معهـم هدايـا مثـل مـاء زمـزم وكحـل الإثمـد وسـجادات الصـلاة والمسـابيح والمسـاويك والمصاحـف وكتـب الأدعيـة، وفي مراحـل لاحقـة الكامـيرات التـي تسـتعرض صـور الحـج».

وعـن ذكريـات الحـج في المـاضي، يقـول الوالـد عبدالله الزعـابي «إن رحلـة العـودة كانـت أيـسر عـلى النفـس مـن رحلـة الذهـاب، كـون أفـراد القافلـة يشـعرون براحـة نفسـية؛ لأنهـم أدوا واحـداً مـن أركان الإسـلام، فيقومـون بـشراء هدايـا للأهـل والجـيران مثـل السـبح، وسـجاجيد الصـلاة التـي كانـت تصنـع فقـط في الأراضي المقدسـة، أمـا مـاء زمـزم فلـه أهميـة خاصـة، ويجـب أن يرتـوي منـه كل أفـراد الحـي، مـن خـلال الكميـات التـي اسـتطاع الحـاج حملهـا معـه».

ويقـول الوالـد محمـد المسـكري «إن الحـج في المـاضي اختلـف عـن حـج هـذه الأيـام، وكان مـن المشـقة إلى حـدّ أن الصحـة الجيـدة شرط لأغلـب المسـافرين، حتـى تعينهـم عـلى عنـاء هـذه الرحلـة التـي كانـت تسـتمر أشـهراً طويلـة».

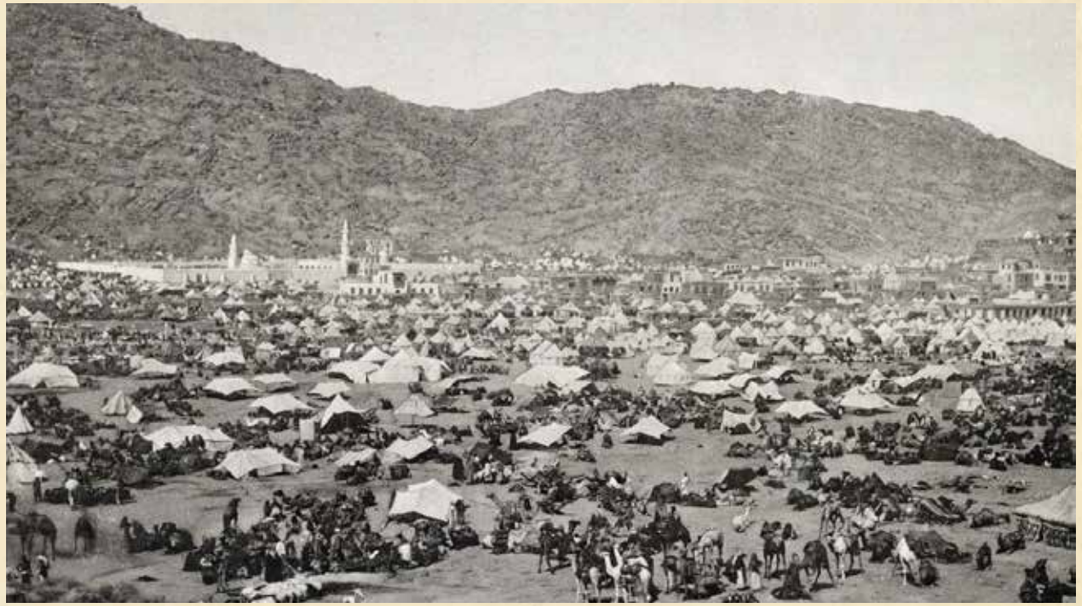

تقاليد الحج.. تراث جزائري ديني واجتماعي لن ينضب

أ ـ نورية آيت محند
مدرس أكاديمي
معهد الشارقة للتراث
ait.mohand.noria@hotmail.fr

لـون جديـد مـن ألـوان الـتراث الجزائـري الديني، الـذي يعتز به كل مسلم متعطش ومحـبّ لإكـمال دينـه، والأركان الخمسـة للإسـلام، ونحـن في العـشر الأوائـل مـن ذي الحجـة، نحـاول أن نسـترجع الذكريـات التي لا تُنسى عـن كيفيـة التحضير للحج، مـن الذهـاب حتـى الرجـوع.

* «إلي حج حج، وإلي عوق عوق» *

* «إلي حج حج بكري» *

مثـلان شـعبيان أتذكرهـما منـذ الصغـر، واحـترت لمعنييهـما الضاربـين في صميـم المجتمـع الجزائـري، الـذي كان يعطـي للحـج أكـبر قيمـة دينيـة واجتماعيـة، جعلتـه يحتـل أعـلى المراتـب في الثقافـة الشـعبية الجزائريـة، التـي تجعـل الحـج يحسـب لـه ألـف حسـاب، وشـيئاً لا يقـدر بثمـن، بـل تسـخّر لـه كل الإمكانـات، والنفـس والنفيـس، مـن أجـل أن يذهـب الحـاج إلى الديـار المقدسـة في أحسـن الأحـوال.

إن القيمـة الدينيـة معروفـة ومتعـارف عليهـا، وتعتـبر ممارسـتها موحـدة في كل أصقـاع العـالم الإسـلامي. أمـا الـشيء المختلـف فهـو العـرف المعهـود في كل دولـة عربيـة ومسـلمة، إذ تمـارس فريضـة الحـج بـكل مـا يحملـه هـذا الـصرح مـن معنـى روحـي ودينـي، وبميـزان ثقيـل جـداً في معنـاه ومغـزاه، وهدفـه الـذي يصـب في البُعـد الدينـي الـذي فُـرض مـن اللـه، عـزّ وجـلّ، مـما جعـل كل مـن ينـوي الحـج لابـد لـه مـن التحضـير النفـسي والروحـي العميقـين جـداً في ثنايـا ديننـا الحنيـف.

إن للحـج معـاني اجتماعيـة عميقـة جـداً، خاصـة في زمـن الأجـداد، الـذي كان ذروة الزمـن الجميـل، حيـث تمـارس فيـه الطقـوس بأتـم معنـى الكلمـة.

أول شيء يقـوم بـه الحـاج هـو خياطـة الألبسـة التـي يحـج بهـا، والتـي يكتسـيها اللـون الأبيـض الناصـع، الـذي يـدل عـلى الصفـاء والنقـاء والعفـة، وكل شيء يجعـل مـن هـذا الحـاج ورقـة بيضـاء وصافيـة صفـاء اللـون الأبيـض.

يحـرص الحـاج الجزائـري عـلى الألبسـة التقليديـة التـي تحتـوي عـلى سروال «التسـتيفة»، وهـو سروال تقليـدي جميـل جـداً، ويرتديـه الرجـل في المناسـبات الدينيـة والأفـراح.

ولا يكتمـل سروال «التسـتيفة» إلا بـ«القمجـة» (القميـص)، والجيليـة التـي تلبـس فـوق «القمجـة» أو القميـص والعبايـة (الكنـدورة)، ولا يكتمـل الطقـم إلا بـ«البلغـة» (الحـذاء)، التـي تصنـع مـن

الجلـد الخالـص، وبأنامـل محليـة مـن المنطقـة.

ولكـن للأسـف، هـذه الأيـام أصبح اللباس التقليـدي ومـن يصنعـه شـبه منعدمـين، ربمـا لم نعـرف قيمـة الحـرف إلا في هـذه المناسـبات التـي كانـت تـروّج للصناعـات الحرفيـة التـي كانـت تعـجّ وتنتـشر في شـتى المـدن الجزائريـة، بـل أبعـد مـن ذلـك، إذ كانـت تسـوّق وتبـاع داخـل الديار وخارجها.

بعـد تحضـير لـوازم اللبـس والمحـارم البيضـاء، يقـوم أهـل البيـت بتحضـير الكسـكسي، وتتـولى مهمـة تحضيره النسـاء، إذ يفتـل لمـدة شـهر قبـل الحـج، فتلتقـي كل النسـاء والأهـل والجـيران، ويقمـن بفتـل الطعـام أو الكسـكسي، وهـذا نـوع مـن التكافـل الاجتماعـي الـذي يـكاد يندثـر، إذ لم يبـقَ إلا في المناطـق النائيـة. وهـذا مـا يسـمى بـ«التويـزة»، وهـي مـن المظاهـر الاجتماعيـة التـي كانـت تسـود في

كل المناطـق الجزائريـة، والتـي تحـثّ عـلى التعـاون

والتـآزر، وهـذا مـا كان يـزرع روح المحبـة والأخـوة بـين الأهـل والأحبـاب والجـيران. الحـج ليـس حجـاً فحسـب، بـل هـو مـن المظاهـر الاجتماعيـة التـي صنعـت المجتمعـات، فقـد كان يسـبقه اسـتعداد ضخـم جـداً، يليـق بهـذه الشـعيرة الربانيـة، فقـد كان النـاس يمشـون بالـبر، وينتقلـون مـن دولـة إلى دولـة، ويمشـون شـعثاً غـبراً، وفي كل مـكان يتوقفـون ليرتاحـوا، ويتبادلوا الأكل والحديـث، وحتـى التجـارة، بـل أكـثر مـن هـذا، كانـوا يتزاوجـون فيـما بينهـم، وحينـما تنقـضي المناسـك، يعـود الحجـاج إلى ديارهـم، وهنـاك.. يسـارع الـزوّار مـن الأهـل والجـيران والأصدقـاء، ويتسـابقون فيمـن سـيرى الحـاج أولاً، في نيّـة أن النـور مـازال يشـعّ مـن وجـه الحـاج، ولابـد مـن الاسـتحواذ عـلى الدعـاء منـه حتـى يسـتجاب، كـما يقـوم أهـل الحـاج بـ«الوعـدة»، وهـي وليمـة كانـت تـدوم سـبعة أيـام بلياليهـا، ويُطعـم فيهـا كل مـن يـأتي مـن الأهـل وحتـى مـن عابـري السـبيل، فهـي تعتـبر صدقـة، ويطغـى فيهـا الكسـكسي الـذي حضرتـه النسـاء قبـل الذهـاب بشـهر، بـل يبقـى بيـت الحـاج مفتوحـاً طيلـة الأيـام، ومـزاراً لـكل مـن يرغـب في أخـذ البركـة مـن الحـاج،

والـشيء الجميـل في كل هـذا أن الـكل يشـارك في بيـت الحـاج، والـكل يتعـاون ويسـاعد عـلى تحضـير الطعـام والـشراب لـكل مـن يـأتي زائـراً مباركاً، حتـى الأطفال لهـم نصيـب في ذلـك، حتـى يغرسـوا فيهـم حـب الديـن الإسـلامي، وتعليمهـم وتفقيههـم في دينهـم.

والـشيء الجميـل أن «الوعـدة» تقـام قبـل وبعـد الذهـاب إلى الحـج، بغـرض الالتقـاء وطلـب السـماح، والعفـو مـن كل متخاصـم، وتجديـد العهـد باللـه، ورفـع الحقـد والضغينـة، ويسـارعون إلى كل مـا يقربنـا مـن الخصـال التـي حثنـا عليهـا ديننـا، كالتسـامح والتآزر والاتحـاد والبقـاء يـداً واحـدة.

فعـلاً كـما قيـل في مثلنـا الشـعبي «إلي حـج حـج وإلي عـوق عـوق»، و«إلي حـج حـج بكـري».

ويبقـى الحـج عظيمـاً مهـما توالـت الأزمان، مادامـت النيـة طيّبـة، وفي طاعـة لله.

صيفي ممتع بالقراءة

في إطار تعزيز علاقة أجيال المستقبل بالقراءة، أطلقت مكتبة الموروث، التابعة لمعهد الشارقة للتراث، برنامجها الصيفي تحت شعار «صيفي ممتع بالقراءة»، الذي استمر إلى يوم الخميس، التاسع من أغسطس الجاري، ويستهدف الأطفال من عُمر 7 إلى 12 عاماً، حيث يهدف إلى تشجيع الأطفال واليافعين على ممارسة القراءة وجعلها عادة يومية، وغرس حب الكتاب في نفوسهم، وذلك من خلال العديد من الأنشطة التي ستُقدم خلال البرنامج. وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «تمثل القراءة مؤشراً على تقدم وازدهار الأمم، لذلك يسعى المعهد إلى غرس هذه الثقافة، وتوظيف أوقات فراغ الأطفال خلال العطل، من خلال تنظيم مثل هذه الفعاليات الصيفية، لتعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع، كما سيتم تعريف الأطفال بمكتبة الموروث، ومحتوياتها وكتبها، لتشجيعهم على القراءة، وإكسابهم ثقافة التراث، ليكونوا فاعلين في المجتمع، بما يتعلق بثقافة الدولة وتراثها، وبما يتواكب مع طبيعة العصر ومتطلباته». ومن الجدير بالذكر أن البرنامج يشمل على فعاليات عدة، مثل قراءة وتبادل القصص والكتب، لتنمية مهارات التعاون والتواصل بين الأطفال، وتقديم فقرة لـ«عام زايد»، وفقرة الحكواتي، بالإضافة إلى ورش متنوعة مثل ورشة الخط العربي، وورشة الإيبرو، وورشة الديكوباج، بالتعاون مع قسم ترميم المخطوطات، كما سيتم تقديم مسابقات ممتعة للأطفال، وغير ذلك.

مهرجان ليوا للرطب

شارك «معهد الشارقة للتراث» في فعاليات النسخة الخامسة من مهرجان ليوا عجمان للرطب المنصرمة. وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث في تصريحات له بهذه المناسبة: «نحرص على المشاركة في فعاليات المهرجان، لكننا نشارك هذا العام كراعٍ فضي، إلى جانب ركن الحرفيات الذي يشمل فنون السفافة والتلي وصناعة الليخ والقراقير، إضافة إلى ورش عمل متنوّعة، منها كتب التلوين التي تتضمن معلومات مهمة عن الرطب، وتم تصميمها خصيصاً للمهرجان».

كما تضمنت المشاركة استعراض العديد من الكتب، التي تعني في مجملها بالرطب، مثل كتاب «النخلة عروس الرمل والمدى»، للباحث المرحوم عبدالجليل السعد، و«النخيل في الحجاز في الجاهلية والعصور الإسلامية»، للباحث أحمد محمد عبيد، وغيرهما الكثير، إضافة إلى مشاركة نوعية ومميزة للفرقة الشعبية التابعة للمعهد.

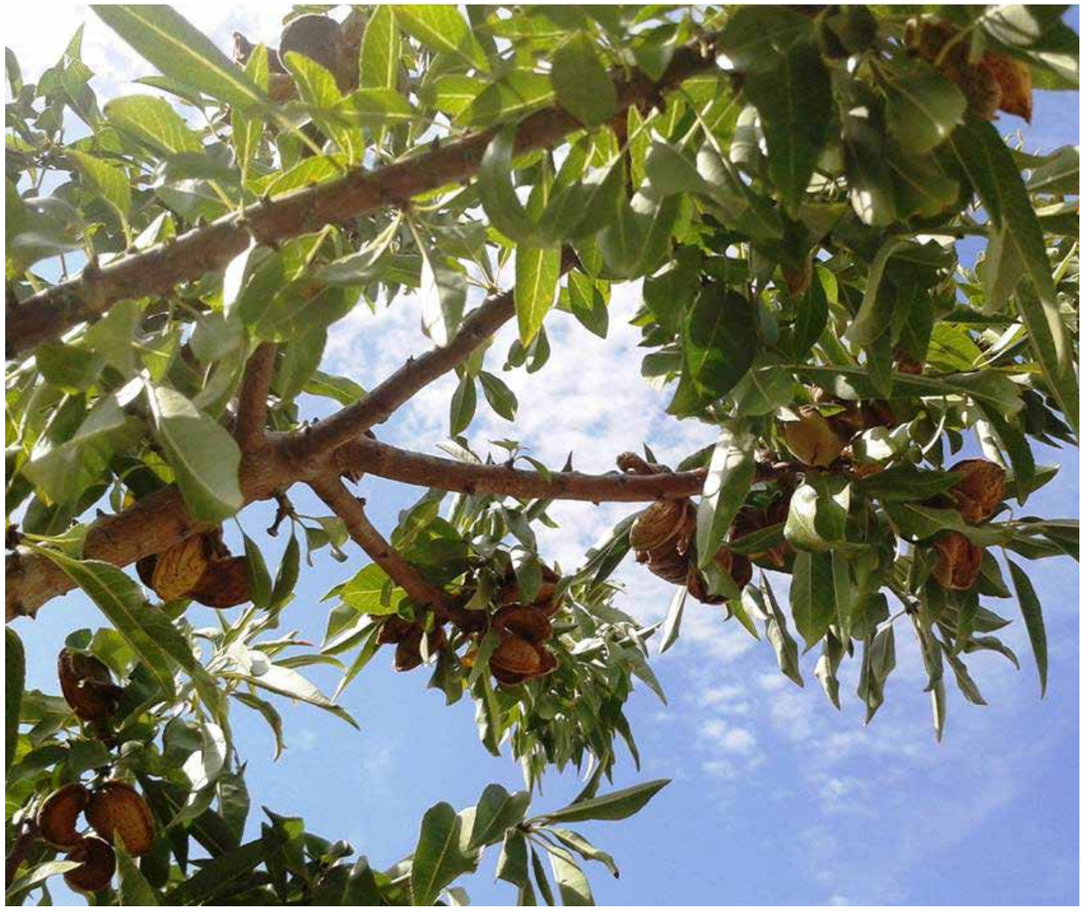

شجرة اللوز .. فاكهة الصيف

احتفى معهد الشارقة للتراث في النسخة الحادية عشرة من «بشارة القيظ» بشجرة اللوز، وهي شجرة ذات انتشار كبير في دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث تزرع في المزارع والحدائق العامة والخاصة، وهي تعدّ من أهم الأشجار المحببة محلياً، فقد كانت تزرع منذ عصور طويلة، كما أن الإماراتيين يفضلون تناول ثمارها، وتسمى في الكثير من المناطق «البيدام»، وهي من أصناف اللوزيات التي تبدأ بطرح أزهار اللوز خلال شهر مارس، لتتحول الأزهار إلى ثمار خضراء صغيرة (البرما)، تكبر وتنضج من شهر يونيو، وتستمر في يوليو وحتى أواخر الصيف، لتكوّن «اللوز»، وهي فاكهة تأتي على لونين أحمر وأصفر، نواتها كبيرة، وإذا جُففت تحت أشعة الشمس تكسر، ويستخرج منها ما يشبه اللوز المعروف.

فاكهة الصيف

لقد وثّقت هذه الشجرة أصالتها وتماسكها على مرّ السنين، فكانت ثمار اللوز، ومازالت، فاكهة الصيف المجانية لكل المواطنين والمقيمين في دولة الإمارات، من أقصاها إلى أدناها، فانتشارها لا يفرق بين قصر أو بيت شعبي، بل إن الفاكهة متوافرة في الشوارع والطرقات وأرجاء الأحياء الشعبية، تقدم ثمارها لكل جائع، متحديةً حرَّ الصيف، وجفاف الأرض. وقد كانت مزارع اللوز متنزهات الطفولة اليومية في فترة الصيف، لعدم وجود أي أماكن ترفيهية يذهبون إليها، وهي شجرة شبه دائمة الاخضرار، تنتشر بأشكال متنوّعة في المناطق بين الإمارات والمناطق الحارّة في عمان.

وتصلح هذه الشجرة للزراعة في جميع أنواع التربة، إلا أنها تفضل التربة الرطبة جيدة الصرف، كما تنمو تحت أشعة الشمس المباشرة، وتتحمل الحرارة والرطوبة المرتفعة، كما يمكن أن تزرع كذلك في المناطق الساحلية وتتحمل الرياح الشديدة.

وتحتاج شجرة اللوز إلى الريّ المنتظم خلال المراحل الأولى لزراعتها في المكان المستديم، وهي مقاومة لدرجات الملوحة التي تصل إلى 4500 جزء من المليون، ويراعى تخفيف الري في وقت حمل الشجرة للثمار، ويعدّ نظام الريّ بالتنقيط هو الأمثل لري هذه الشجرة، التي تزهر في الربيع، وتثمر في الصيف، وتحتاج إلى التسميد العضوي مرة واحدة سنوياً. أما التسميد الكيميائي فثلاث مرات سنوياً. ولا تحتاج هذه الشجرة إلى التقليم، نظراً لنموها المتماثل، ويقتصر التقليم فقط على إزالة الأفرع المكسورة والميتة، وشاذة النمو.

تنوّع الاستخدامات

أشجار اللوز جميلة جداً، ووارفة الظلال، وثمارها حلوة، ولهذا السبب فإنها تجذب الصبية الصغار، وتستخدم كشجرة زينة لتحمي الشوارع، وتوفر الظلال المناسبة في الحدائق، وثمارها تؤكل طازجة، ويستخدم خشبها في صناعة أعمدة الهواتف والعربات الخشبية، كما أن الزيت المستخرج من البذور الجافة صالح للأكل، ويستخدم في الطهي. ويستخرج من القلف والأوراق والثمار مادة التنين، وبعض الصبغات، كما أن أجزاء الشجرة لها استخدامات طبية في علاج الإسهال وعلاج الجذام والصداع، وعلاج الجروح والمغص وضمادات لاصقة لعلاج الروماتيزم. كما يستخدم ورق اللوز في تخزين التمر والدبس، اللذين يوضعان في الخرس، وهو عبارة عن وعاء مصنوع من الفخار، يغلف بورق اللوز، ثم يغطى بالطين والرمل، مما يساعد على الاحتفاظ بالتمر لأطول فترة ممكنة، كما يتم أخذ أغصانه الخشبية كوقود للنار.

قصائد «عام زايد» زايد الشاعر

عتيـج القبيـسي
شاعر وباحث تراثي
ateequbaisi@gmail.com

الوالـد القائـد الشـيخ زايـد بـن سـلطان آل نهيـان، طيّـب اللـه ثـراه، وجـزاه عـن هـذه الأمـة خـير الجزاء، بـاني هـذه الدولـة ومؤسـس نهضتها، وموجـه دفتهـا نحـو إقامـة صروح العلـم والثقافـة، لم يكـن يدّخـر جهـدا للنصح، وينتهـز كل فرصـة ليوجـه حديثـه للشـباب والناشـئة، فيحتويهـم بالنصح والتوجيـه، ولا يبخـل عليهـم بالثنـاء والتشـجيع، وهذه مـن أهـم وسـائل بنـاء النفـس البشريـة البنـاء الإيجـابي.. وكـذا كان في شـعره، فهـو لم يغفـل جانـب النصـح والإرشـاد والتوجيـه في قصائده، وهـذا شـأن الأب الـذي يريـد الخـير دائمـاً لأبنائه، فإنـه يحسـن تربيتهـم وتوجيههم لينشـؤوا على خُطـا الأوّلـين، ويريـد منهـم أن يقوّمـوا سـلوكهم إلى مـا هـو أفضل، بحيـث يكـون كل واحـد منهم قـدوة لبنـي جيله، يعلـو بصفاتـه وسـلوكه عـن ضحضـاح الأمور، دائـم البحـث عـن العلـم والمعرفـة، لا ينجـرف وراء الذيـن يحاولـون غوايتـه وإبعـاده عـن جـذوره وتجريـده مـن هويّتـه، ويخلـد ذكـره بعـد رحيلـه ولا ينسـاه النـاس.. تمامـاً كـما هـو الحـال مع الشـيخ زايـد نفسـه، رحمـه اللـه، فرغـم غيابـه عنّـا جسـداً، إلاّ أنـه مـا زال وسـيظل يسـكن القلـوب، ويقتـدي بمـكارم أخلاقـه كل مـن عرفـه وعـرف صفاتـه.

وفي هـذه الزاويـة الشـهريّة سـنتناول قصيـدة مـن قصائـده في كل عـدد، نقرؤهـا، نتعـرّف إليهـا، نسـتخرج منهـا العـبر والمعـاني التـي تنفعنـا بـإذن اللـه في مسـيرة حياتنـا.

وقصيدتنا لهذا العدد..

مرحبا يا هلا حي بالشهامة مرحبـا بالصقـور المخلصـين
ضامنـين الوِطَن صانوا احترامه قَـدرهم عنـدنا عـالي وثمين
هم حماة الوطن يوم ازدحامه يـوم وِلد الـرّدي كابي ومهـين
جَمعِنا كالجبل عَسرِ الصّدامة والنّشـامى لهم عـلمٍ يبـين
يوم سِمعوا النّدا هَبّوا التحامه زاحفـينٍ كما أُسـد العريـن
من بَـلانا له الحِزْن ونِدامة وِالفَلَس حَقّهـم لو طامعـين
يـا نشـامى لكم عِـز وكرامة عندنـا وعنـد اَهَلكم الاوّلين

في هـذه القصيـدة يرفـع الشـيخ زايـد، رحمـه اللـه، مـن قـدر ومعنويّـات الجنـود الذيـن أوكلـت إليهـم مهمّـة حمايـة الوطـن مـن الطامعـين، وهـو يخاطـب الشـباب الذيـن انخرطـوا للتطـوّع في القـوات المسـلّحة أثنـاء حـرب تحريـر الكويـت، وهـو يصفهـم بالصقـور المخلصـين تقديـراً لهـم وتفاخـراً بهـم:

مرحبـا يا هـلا حـي بالشهـامة مرحبـا بالصقـور المخلصـين
ضامنـين الوِطَن صانوا احترامه قَـدرهم عنـدنا عـالي وثمين

وبمـا أنّ الصقـر هـو شـعار الدولـة، وشـعار القـوات المسـلّحة، ولأن الصقـور لا تـرضى إلّا بالمـكان الشـامخ العـالي، ولا تسـكن إلّا في الأعـالي، وتسـميتهم بالصقـور دلالـة عـلى العـزّة والشـموخ، أمّـا في قولـه (ضامنـين الوطـن صانـوا احترامـه)، فهـو تأكيـد عـلى أن هـؤلاء الصقـور بإيمانهـم واخلاصهـم قادريـن عـلى حمـل الأمانـة والـذود عـن مقـدرات ومكتسـبات هـذا الوطـن، مقدّمـين أرواحهـم في سـبيل تحقيـق ذلـك، هـو يقـين القائـد بالشـعب، وهـو يقـدّر منهـم هـذا الإخـلاص بقولـه (قدرهـم عندنـا عـالي وثمـين).

ثمّ يسترسل شاعرنا، رحمه الله، إلى أن يقول:

جَمعِنـا كالجبـل عَسرِ الصّدامـة والنّشـامى لهم عـلمٍ يبـين

نلاحـظ في هـذا البيـت تحـوّل الشـيخ زايـد، رحمـه اللـه، مـن صيغـة المتحـدّث عـن الجنـود إلى صيغـة المتحـدّث باسـمهم، فهـو لم يقـل (جمعهـم)، بـل قـال (جَمعنـا) وبمـا أنّـه كان القائـد الأعـلى للقـوات المسـلّحة، فهـو يقـول لهـم إننـي معكـم وأنـا واحـد منكـم، ونحـن جميعـاً بوحدتنـا وتكاتفنـا مـع بعضنـا (كالجبـل، عَسـر الصّدامـة) وهـذا أسـلوب يسـهم في تقويـة عزيمتهـم ورفـع معنوياتهـم وزيـادة ثقتهـم بقيادتهـم وبأنفسـهم.

ثم يعود ليتحدّث عن الجنود من جديد.

يوم سِمعوا النّدا هَبّـوا التحامـه زاحفـينٍ كما أُسـد العريـن

هنـا يخـرج الشـاعر نفسـه ويعـود إلى موقـع المتكلّـم مـن جديـد ليمتـدح الجنـود ويشـيد بصنيعهـم، لأنّـه يريـد أن يكـون المـدح موجّهـاً لهـم، فهُـم الذيـن هَبّـوا ودافعـوا وجاهـدوا وأقدمـوا عـلى خطـوط النـار واقتحموهـا كالأسـود التـي تدافـع عـن عرينهـا، لا مـكان للخـوف ولا للـتردّد في نفوسـهم، لـذا كان التعبـير بـ(هَبّـوا) ويختم المغفور له، بإذن الله، قصيدته.

من بَـلانا له الحِزْن ونِدامة وِالفَلَس حَقّهـم لو طامعـين
يـا نشـامى لكم عِـز وكرامة عندنـا وعنـد اَهَلكم الاوّلين

هنـا هـو يسـتصغر المعتـدي ويقلّـل مـن شـأنه، في إشـارة منـه بأنّكـم أيهـا الجنـود أعظـم شـأناً وأكـبر أهميـة مـن هـؤلاء المعتديـن الطامعـين، ولـن ينالـوا إلّا الصّغـار والحـزن والنّدامـة عـلى مـا أقدمـوا عليـه، ولـن يخرجـوا مـن ديارنـا إلّا بِالفَلَـس، أي لـن يخرجـوا بـأي مكاسـب أو أربـاح، وهـذا بالفعـل مـا حـدث، وتحـرّرت الكويـت وعـاد المعتـدي يجـر أذنـاب الخيبـة والمذلّـة، أمّـا أنتـم أيهـا النشـامى فلكـم العـزّة والكرامـة والتقديـر مـن عندنـا ومـن أسـلافكم الأوّلـين.

وإلى اللقـاء في العـدد القـادم وقصيـدة أُخـرى مـن قصائـد الوالـد الشـيخ زايـد.

المرجع: كتاب ذرب المعاني (قراءات في قصائد الشيخ زايد) للكاتب والناقد الأستاذ محمد عبدالله نور الدين، منشورات دار نبطي للنشر، 2017.

«آه قلبي له بشاشاتي»

علي العَبْدان
شاعر وتشكيلي وباحث تراثي
الإمارات
abdanart@gmail.com

قصيدة «آه قلبي له بشاشاتي»، من كلمات الشاعر الإماراتي محمد المطروشي؛ وغناء الفنان الإماراتي حارب حسن، أما الشاعر فهو محمد بن راشد بن عيسى المطروشي، وُلد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بإمارة الشارقة، ونشأ فيها، وتلقى العِلمَ في الكتاتيب، واستفادَ الكثيرَ من المعارف من خبرات حياتِهِ وتحوّلاتِها، صاحَبَ العديدَ من الشعراء، ودارت بينه وبينهم مُشاكَياتٌ ومُساجَلات، وله في فنون الشعر كالدرسَعي والريحاني باعٌ طويل، وكان كثيرَ الفخر بقصائده ومعاني شِعره، وقد عمل الشاعر في مهنة الغوص، وربما السفر التجاري كذلك، وتوفي، رحمه الله، في منطقة الشندغة بإمارة دبي في الأربعينيات من القرن العشرين[1].

القصيدة[2]

آه قلبي له بشاشاتي .. مبتهج من حلو المحيّا
بوعيون[3] بابليّاتي .. بدر داج ونور وثريّا
كاعبٍ من حُور جناتي .. لى على لون الدامنيّا
ما خِلج[4] مثله في الاوقاتي .. لا ولا في سلطنة ميّا[5]
باعتداله والمقاماتي .. قد والمضمر فرنجيّا
بالمحاسن والملاحاتي .. لا نظيرٍ له ولا بيّا[6]
سيّد البيض الخَوَنداتي .. ترْك رومي أو حجازيّا
قلت له يا الشادن اللاتي .. عِيد لي واسمع مقاليّا[7]
بالتوسل والسلاماتي .. قال من عرب وعرابيّا
من نسل آل وسلالاتي .. كان تعرف مربع الحَيّا[8]
قلت له ما ودك تباتي .. قال خوفي من أهاليّا[9]
يتضح علمي في الاوقاتي .. كيف عذري في ضواريّا
سار وادعاني بحسراتي .. عدت لا ميّت ولا حَيّا
تجري من العين عبراتي .. وانتظر من واسع الفيّا

وزنُ هذه القصيدة ينتسبُ إلى أحد أوزان بحر المَديد في الشعر الفصيح، وأبياتها تدل على هذا، منها المطلعُ مثلاً:

آه قلبي له بشاشاتي .. مبتهج من حلو المحيّا

فتقطيع الشطر الأول:

أآهِ قلْبي = فاعلاتن، لهْ بشا = فاعلن، شاتي = فاعلْ.

وتقطيع الشطر الثاني:

مِبْتهِجْ مِنْ = فاعلاتن، حِلْوِ لِمْ = فاعلن، حَيْيا = فاعلْ.

فهذا نسيبٌ لبعض أوزان المَديد، وأقربها إليه ما جاء فيما يُنسَبُ إلى شِعرِ مُهلهِل بن ربيعة:

رُبَّ نارٍ بتُّ أرمُقُها[10] .. تقضِمُ الهِنديَّ والغارا[11]

أما الوزنُ الشعبيّ فيلزمُ قافيتيْن كما نرى في نص القصيدة، وإنشادُ وزن المَديد في الأصل فيه شيءٌ من الترسّل بسبب اعتراض تفعيلة فاعلن تفعيلتيْهِ الرَمَليّتيْن، ولكن هذه الصورة الواردة في القصيدة «فاعلاتن فاعلن فاعلْ» من شأنها تخفيفُ الترنُّم بما يُنظمُ عليها، ووزنُ المَديدِ عموماً يصلحُ للإخبار بإيجاز بليغ عن الأحداثِ والعِبَر والقصص القصيرةِ المهمّة، ويصلحُ مع ثِقلِهِ كذلك للمحاوَراتِ؛ حتى مع المعشوق كما في هذه القصيدة، ولكنهُ يقتضي تعُمقاً وترويّاً، فهو لا يسمحُ بالتوسّع دون طائل، وإلا لن يكونَ قويَّ السبْك.

الأغنية

قام الفنان حارب حسن بتلحين وتسجيل هذه الأغنية على أسطوانةٍ حجريّةٍ بعزفِهِ وغنائِه، وذلك لمصلحة شركة (كرجي فون) في البحرين، وقد جرى التعريفُ بالفنان حارب حسن في المقالةِ الأولى من هذه الزاوية ضمن العدد الأول من مجلة «مَراود»[12]، وما يهمنا ذكرُهُ هنا أن الفنان حارب حسن كان قد لحّنَ هذه القصيدة بلحن صديقِهِ وجارِهِ المطرب محمد راشد الرفاعي، حين كان يُقيمُ في البحرين، وذلك اللحنُ هو لحنُ أغنية «زرعت الطِّيب في بعض الأراضي»، وهي إحدى أشهر أغاني الرفاعي؛ لكن حارب حسن أدخلَ بعض التعديل على لحن الغناء وزمن الإيقاع، بسببِ وزن هذه القصيدة الذي يختلفُ عن وزن قصيدة أغنية الرفاعي، كما أدخلَ بعضَ اللوازم الموسيقية كما سنرى فيما يلي، ثم جاء الفنان جابر جاسم واستلهَم من أغنيةِ حارب حسن لحنَ أغنيتِهِ الشهيرة «سيّدي يا سِيد ساداتي»؛ مُدخِلاً عليها بعضَ التطوير مثل المقدمة الموسيقية التي تميّزت بها أغنيتهُ تلك في حقبةِ السبعينيات من القرن الماضي.

يقومُ لحنُ أغنية «آه قلبي له بشاشاتي» على مقام «عراق» في ديوانِهِ الثاني؛ أي من نغمة «سي نصف بيمول الوسطى»، ولهذا فإن أغلبَ النغمات المستخدمة في لحن الأغنية ستكون من منطقة الجوابات، وجملة اللحن تنقسمُ إلى عبارتيْن موسيقيّتيْن، الأولى للشطر الأول من كل بيت، والثانية للثاني، وذلك على النحو الآتي:

يبدأ لحنُ العبارة الأولى: آه قلبي بنغمة مي نصف بيمول جواب، ثم يمتد إلى نغمة فا جواب مع الجزء: له بشا.. ويعودُ إلى مي نصف بيمول جواب مع الجزء: ..شا.. لينتهيَ إلى نغمة ري جواب مع الجزء الأخير من الشطر الأول:.. تي، وبذلك تُمثلُ العبارةُ الأولى جنسَ بياتي على نغمة ري الجواب؛ تليها لازمة موسيقية تأتي بعد كل عبارةٍ أولى، هي: مي نصف بيمول جواب، ري جواب، دو جواب، ري جواب، ومهمة هذه اللازمة هي نوعٌ من توكيد جنس البياتي الذي يقوم عليه لحنُ العبارة الأولى.

أما لحنُ العبارةِ الثانية فيبدأ بنغمة فا جواب، مع قوله: مبْتهِج.. ويهبط إلى نغمة ري جواب مع الجزء: من حلو.. ليعودَ سريعاً إلى النغمات العالية مي نصف بيمول جواب، وفا الجواب، ثم يهبط إلى نغمة القرار سي نصف بيمول الوسطى، مروراً بنغمتي ري الجواب، ودو الجواب، مع غناء الجزء: المحَيّا، وبذلك تُمثلُ العبارةُ الثانية جنسَ «عراق» على نغمة سي نصف بيمول الوسطى، وهو أصلُ المقام؛ يلي ذلك لازمةٌ موسيقيةٌ تأتي بعد كل عبارةٍ ثانية، هي: دو جواب، سي نصف بيمول الوسطى، لا الوسطى، سي نصف بيمول الوسطى، ومهمة هذه اللازمة هي نوعٌ من توكيد جنس «العراق» الذي يقوم عليه لحنُ العبارة الثانية.

1 - للمزيد حول حياة الشاعر محمد المطروشي راجع ديوانه، إعداد وتحقيق سلطان العميمي، أكاديمية الشعر، أبوظبي 2011، ص 11 – 30.

2 - نص القصيدة من (تراثنا من الشعر الشعبي)، حمد خليفة بوشهاب، طبع مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر , 1401 هـ ص 158.

3- في التسجيل: بوعيان.

4- أي: لم يُخلَق، قُلبت القافُ جيماً، وهي لهجةٌ في الإمارات وعموم الخليج، فيقولون: جاسي، ويقصدون: قاسي.

5- هذا البيت والذي قبله غيرُ موجودَيْن في التسجيل.

6- البيتان السابقان اختُصِرا في التسجيل إلى بيتٍ واحدٍ كما يلي: في مقامِه واعتدالاتي.. لا نظيرٍ له ولا بيّا.

7- في التسجيل: رُوف بي وافهم مقاليّا.

8- في التسجيل: قال من عرْب وسلالاتي.. ديرتي في مربع الحيّا

9- في التسجيل: من الاهاليّا.

10- العَروضُ هنا: فعِلُن، والذي في القصيدة: فاعلْ، أما الضربُ في الشاهد فكما هو في القصيدة.

11- (الشافي في العَروض والقوافي)، د. هاشم صالح منّاع، دار الفكر العربي – بيروت ط 2003، ص80.

12- مجلة (مَراود)، العدد الأول، إبريل 2017، ص 66.

«عَيّـالة العين»

علي العشر
خبير تراث فني

«عَيّـالة العين»، فن مشهور من الفنون الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة؛ يُشبهُ إلى حَدٍّ ما فن العَيّالة البحريّة أو عيّالة أهل الساحل التي تحدثنا عنها في مقالةٍ سابقة، لكنهما يختلفان اختلافاً كبيراً من حيث الأداء والإيقاع، فأهلُ مدينة العين لهم طابعٌ خاص في فنونهم الشعبية، يتميّزون به عن أهل الساحل، وقد اشتُقت عيّالة العين في الأصل من فن العَرضةِ النجديّة التي يعود إليها معظمُ فنون العَرضة في مناطق الخليج كافة، لذلك يُمكنني القولُ بشكلٍ أدق بأن عَيّالة العين هي فنٌ مشتركٌ بين العَرضة والعَيّالة، فهي قد أخذت من فن العَرضةِ النجديّةِ الشكلَ والطريقة في بعض المقامات والألحان والسرعة في مقدار الزمن الإيقاعي، وبعض القصائد كذلك، كما أخذت من فن العَيّالةِ البحريّة بعض الآلاتِ الإيقاعية وبعض القصائد أيضاً، ولهذا فأنا أُسمّيها «العَيّالة المشتَرَكة»، وسأذكر أهم الفروق بين هذه الفنون بعد ذِكر آلات الإيقاع المستخدمة في فن عَيّالة العين..

آلات الإيقاع المستخدمة في فن عَيّالة العين:

1 – الكاسر: هو أساس الإيقاع في هذا الفن، فهو الذي يقودُ بقيّة الآلات، وينبغي للضارب عليه أن يتميّز بالنباهةِ، والإحساس المُرهَف بالميزان الإيقاعي، والخِفةِ في حركة التوقيع على الكاسر مع الجَودة، وذلك لأنه يبدأ في الإيقاع مع المجموعة ثم ينفردُ عنهم بـ«زخرفة الإيقاع»، أو بما يُسمّى في العامّيّة «النقشات»، وذلك حالَ تحرّكِهِ إلى الأعلى والأسفل مُنسَجماً مع الضرب على الكاسر، وقد يصل من جَرّاء نشوتِهِ إلى التقلّب على الأرض تفنُّناً، وهو يُزخرفُ إيقاعَ هذا الفن، لذلك فإن المستمعين والمشاهدين يَطربون له وهو يؤدّي هذا الفن.

2 – الاسْماع: هو الرَّقّ الكبير، ويُسمى في بقية دول الخليج بـ«الطار»، ويُسمى في الإمارات «اسْماع»، ويُستخدم في فن عَيّالة العين عددٌ منه يراوح بين 2 و3، وقد يُكتفى بواحد، ويُشترَط فيه ألا يكون عادياً، بل يجب أن يكون رفيعَ الصوت حاداً، كأنّ صوتهُ مَصقول، ولهذا يُسمى هذا النوع من «الطِيران» أو «الاسْماعات» باسم خاص هو «الصاقول»، القاف تُنطق كالجيم القاهريّة، ويُسمّى الضرب عليه «صقال»، وعلى الضارب أن يستخدمَ «الصاقول» لملاعَبةِ «الكاسر» إيقاعياً، بمعنى أنهُ يُعاكِسُهُ في ضرباتِهِ ونقشاته، وذلك لتحليةِ الإيقاع وبث روح الإثارة الفنيّةِ فيه.

3 – الرَّحماني: هو عبارة عن طبل كبير الحجم، مُغطى بالجلد من الجهتيْن، ويُستخدمُ منه في هذا الفن اثنان غالباً، ووظيفة طبل الرحماني أن «يُخمِّر» للكاسر، أي أن يُمهِّدَ لهُ الدخول إلى الإيقاع العام لهذا الفن، وهذا ما يُسمّى بـ«التخميرة» في مصطلحات العَيّالة بشكلٍ عام، وجديرٌ بالذكر أن الرحماني يُضرَبُ عليه وهو مُعلّقٌ من كتفِ الضارب، بطريقةٍ تختلفُ عن تعليق طبول عَيّالة أهل الساحل المُسمّاة بـ«التخامير» التي تكون مُعلقة من أكتاف الضاربين بمَيْلٍ أُفقي، فالرّحماني يُعلّقُ بمَيْلٍ رأسيٍّ بشكلٍ حادٍّ، فجانبٌ منه يكونُ إلى الأعلى تماماً، والجانب الآخَر عكسُهُ إلى الأسفل تماماً، ويُضربُ عليه باليديْن كلتيْهما.

4 – الطُّوَس: هي صنوج أو صفائح صغيرة مُدَوَّرَة من النحاس، يُستخدم زوجٌ منها لإصدار رنين كرنين الجرس أثناء مصاحبة بقية الآلات في الإيقاع، وذلك من أجل زخرفة الإيقاع، وإكسابهِ بهجةً وفخامةً بذلك الرنين، كما أنه يعمل على ضبط وزن الإيقاع مع بقيةِ الآلات المذكورة.

أهم الفروق الأدائية بين عَيّالة العين وكلٌ من عَيّالة أهل الساحل والعَرضة النجدية:

1 – في فن عَيّالة أهل الساحل أو العَيّالة البحريّة يُستخدم «طبل الراس» كما مرّ معنا في مقالةٍ سابقة، وفي عَيّالة العين استُبدلَ «الراس» بطبل «الكاسر».

2 – في فن العَيّالة البحريّة تُستخدم طبول «التخامير»، واستُبدلَت في عَيّالة العين بطبل «الرحماني» لغرَض التخمير.

3 – في العَيّالة البحريّة تُستخدم عِصِيّ الخيزران للتلويح بها أثناء الأداء، ويُمسكُ بها من طرفها المَثنيّ، في حين أنها تُستخدمُ بالعكس في أداء فن عَيّالة العين.

4 – في فن العَرضة النجديّة يُستخدم طار يُسمّى «المخفاق»، وقد استُبدلَ في عَيّالة العين بطبل «الرحماني» للوظيفةِ الإيقاعية ذاتها، كما أن في فن العَرضة النجديّة تُستخدم السيوف للتلويح بها أثناء الأداء، وقد استُبدلَت في عَيّالة العين بالعِصِيّ في معظم الأداء.

من النصوص التي تُغنّى في فن عَيّالة العين:

1

مزنٍ نشا بايت يهرِج يُوده .. يُود امطرت والبارق فيها التالي
صوته على المغرب يدني رعوده .. واسقى على ذيك الديار وسالي

يا طارشي قم سِر له عاني وقل له
قل له وليفك ف الخَلا وش مَلّه
يوم اقحموا وخلّوا السيوف تلالي

2

يا بنت فِلّي من الشعر طيّات .. حِنّا على روس الروايب
شوفي عرب زايد هل الشيمات .. عاداتهم فك النشايب
يردون لى من كبرت الأصوات .. عصبة بني عم وقرايب
يظهر ولدهم ظفر ف الشدات .. وتشب من عينه لهايب
شوّابهم للملتقى سادات .. بالرمح وارهاف الضرايب
يا ما دعوا شما العداة اشتات .. عالخيل وظهور الركايب
للدار حق وللزمن دورات .. ولابد من لحق الطلايب
يا شيخ آمر والعمر ما فات .. لبّيه لى حفّت نوايب

3

طير يا اللي صعد في الجو ما جاها
طير حجران شاقتني مضاريبه
ذبح عجلان فيها ما تعدّاها
عند باب القصر يا زين تسحّيبه
عقب ما هي عجوز وشدّت اصباها
زينها يا عرب قامت تماري به

البخور في التراث العربي

صلاح عبد الستار الشهاوي
قاص وباحث في التراث - مصر

في المناسبات كالأفراح والأعياد، إذا ما دخلنا بعض البيوت، أو ارتدنا المساجد في رمضان، نجد دخاناً خفيفاً يتطاير ويملأ المكان برائحة طيبة معطرة من عطر خاص، ينعش النفس، ليقترب الواحد منا إلى المبخرة التي تحوي ذلك البخور، ويشم الرائحة عن قرب، فما قصة هذا البخور؟

الشرق العربي منذ قديم الزمان مصدر مهم للعطور، وكان الشرقيون يميلون إلى العطور أكثر من الغربيين، ويعزو العلماء ذلك إلى أن الشعوب من ذوي البشرة الداكنة والعيون السود يتميزون بحاسة شم عالية، وهناك سبب آخر هو أن العطور تتميز بطابعها الرطب، وذلك إذا رش العطر في جو دافئ فإنه يخفض درجة الحرارة بصده الأشعة الساخنة.

وصف المؤرخ اليوناني (ديوينزيوس) بلاد العرب السعيدة بقوله: «إن المرء يشم شذى الطيب فيها في كل مكان، سواء كان البخور أو المرّ».

أما (هيرودوتس)، فيذكر في تاريخه: «أن بلاد العرب تفوح بالعطور والأطياب، وهي المصدر الرئيس لإنتاج المر والقرفة واللاذن واللبان». وأطلق هيرودوتس اسم «بلاد الأطياب» على جنوب الجزيرة العربية.

*** البخور نظرة تاريخية:**

للبخور في تاريخ تطور الحضارة شأن، فلا شك في أن الإنسان مذ عرف النار، ميز بين الروائح المختلفة التي تنبعث من احتراق الأنواع المختلفة من الأخشاب، فمن المعروف أن إحراق البخور في المعابد الوثنية كان معروفاً خلال التاريخ في كل أرجاء الشرق، بين مصر وبابل، وكان للمر واللبان والكندر وغيرها من إفرازات الأشجار شأن عظيم، ولسنا نغالي حين نقول إن تجارة البخور بأنواعه من جنوب شرق آسيا بحراً إلى جنوب شبه الجزيرة العربية، ثم براً عبر القفار والصحارى إلى غزة بفلسطين فمصر وإلى الخليج، كان إلى ما قبل الإسلام مصدر خير وفير ورزق عميم.

وفي القرن العاشر قبل الميلاد في عهد الملك سليمان، كان اللبان هو أساس البخور الذي يطيب الجو، وقد قدمته بلقيس ملكة سبأ هدية مع كثير من الذهب والأحجار الكريمة عند زيارتها له، وأيضاً كان اللبان والمر والزهي هي أولى الهدايا التي حملها الملوك الثلاثة إلى يسوع الطفل.

ولما جاء الإسلام الحنيف لم ينكر الطيب، بل حض عليه، بما في ذلك البخور، ولكنه لم يجعله جزءاً من العبادة لا في الفرض ولا في السنة.

إلا أن العرف الحسن جعل المسلمين يستخدمون البخور 5 مرات يومياً قبل الصلاة، وجعل الأرامل يعطرن شعرهن بدخانه البخاري، بعد مضي 130 يوماً على مصابهن، كما كان يتم دهن جثث الموتى بمراهم مستخرجة من البخور والزعفران والكافور.

*** حكم استخدام العطور والبخور في رمضان:**

العطور والبخور ليست من جنس الطعام والشراب، وليست من جنس شهوات النفس، كما هو الحال في التدخين، كما أنها ليست من معاني الطعام والشراب، ليس فيها تقوية للبدن، كالإبر المغذية، وعليه فلا حرج في استعمال العطور والبخور، إلا أن العلماء نصوا على أنه لا يستنشق البخور. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا كانت الأحكام التي تَعُمُّ بها البلوى لابد أن يبيّنَها الرسول، صلى الله عليه وسلم، بياناً عاماً، ولابد أن تَنْقُلَ الأمةُ ذلك، فمعلوم أن الكحل ونحوه مما تَعُم به البلوى، كما تعم بالدهن والاغتسال والبخور والطيب، فلو كان هذا مما يُفطِّر لبينه النبي، صلى الله عليه وسلم، كما بيّن الإفطار بغيره، فلما لم يُبيّن ذلك عُلِمَ أنه من جنس الطيب والبخور والدهن، والبخور قد يتصاعد إلى الأنف ويدخل في الدماغ، وينعقد أجساماً، والدهن يشربه البدن، ويدخل إلى داخله، ويتقوّى به الإنسان، وكذلك يتقوّى بالطيب قوة جيدة فلما لم يَنْهَ الصائم عن ذلك دلّ على جواز تطييبه وتبخيره وإدّهانه وكذلك اكتحاله».

*** أسماء البخور في اللغة العربية:**

لعود البخور في اللغة العربية أسماء عدة، فالعود في اللغة العربية أصلاً: كل قطعة جافة من الشجر، ولكنه خصص للبخور، ومن أسمائه: الألوة، والألنجوج، والقطر، والقنطار، والوجُّ، والوقص، والشذى، والصنفي، والقماري، والهندي.

أما اللبان فاسمه العربي هو - كُندر - وهو مشتق على الأرجح من أصول فارسية عن مصطلح إغريقي في مجال الصيدلة، ويعرف بـLibanos khonclros أي بخور الحبوب.

ومن اللبنان والتي يعود أصلها إلى البياض اللبني اشتقت الكلمتان Libanos الإغريقية وLibanos اللاتينية. والجدير بالذكر أن كلمة بيرفيوم Perfume مشتقة من كلمة بيرفومان اللاتينية، التي تعني: «من بين الدخان». حرفياً: حيث كان الحرق هو أقدم وإحدى طرق استخراج العطور.

والبخور كلمة تطلق إما على مفردات عطرية أو على مخاليط عطرية توضع على الجمر وبتأثير حرارة الجمر على المواد العطرية المكونة لها يتحول المخلوط إلى دخان عطري جيد الرائحة، ويستعمل لذلك مباخر ذات أشكال وألوان متعددة، بعضها يعمل على الكهرباء، والآخر على الجمر الطبيعي أو الصناعي.

* **قصة البخور العربي:**

عـرف عـن العـرب حـب المغامـرة والاستكشـاف والأسـفار منـذ القـدم، فوصلـوا حـوض البنغـال وبرمـا واسـام وجـاوه وكمبوديـا في جنـوب شرق آسـيا - موطـن شـجرة العـود الأصـلي - ولم يتوانـوا عـن جلـب أعـواد البخـور، بـل تعـدى الأمـر إلى نقـل أغصـان منهـا وغرسـها في بلادهـم، فعرفـت أراضيهـم بـأرض البخـور، وإن ارتكـز البخـور بمناطـق أكـثر من غيرهـا، نظـراً لارتفـاع درجـة حرارتهـا مثـل حضرمـوت باليمـن وعُـمان، وخاصـة منطقـة ظفـار، حيـث تكـثر بهـا المرتفعـات والمسـاقط المائيـة بعـد هطـول المطـار عـلى نمـاء تلـك النبتيـة البخوريـة، ومـن ظفـار وحضرمـوت بـدأ تصديـر العـود عـبر الطـرق البريـة القديمـة في أواسـط الجزيـرة العربيـة، وحُمـل عـلى السـفن عـن طريـق البحـر الأحمـر حتـى وصـل مـصر في عـصر الفراعنـة، ومنهـا إلى الرومـان واليونـان وغيرهـما.

هكـذا بـدأت قصـة عـود البخـور العـربي مـن مقاطعـة ظفـار في جنـوبي عـمان، حيـث تنمـو شـجرة شـوكية مـن فصيلـة الصعتريـات (يصـل ارتفـاع الشـجرة البالغـة إلى مائـة قـدم، ويـراوح محيـط جذعهـا بـين ثمـاني واثنتـي عـشرة قدمـاً، ولا رائحـة لخشـبها السـليم المعـافى. ولكنهـا حـين تهـرم ذكورهـا ويزيـد عمرهـا عـلى الخمسـين عامـاً تبـدأ الفطريـات في العـدوان عليهـا، فـلا تمتلـك للدفـاع إلا إفـراز ذلـك الصمـغ الراتنجـي الـذي يكسـب الخشـب لونـه البنـي الداكـن، الـذي يعرفـه مـن عـرف العـود فمـن المعـروف أن اللـه تعـالى قـد أودع في النبـات خـواص عجيبـة، تسـاعده إذا أصيـب بجـروح أو جرثومـة مـرض عـلى أن يفـرز دواءه مـن بـين خلايـاه)، يسـتخرج منهـا البخـور ومـن ظفـار تفرعـت طرقـات التوصيـل إلى الشـمال عـبر صحـراء الربـع الخـالي، أو اليمـن إلى فلسـطين ومـصر وأوروبـا، ويعـد العـود رمـزاً مهـماً في ثقافتنـا العربيـة، فقـد أفـردت لـه الكثـير مـن الأمثـال، واسـتهلت بـه مطالـع قصائـد الشـعراء. وفي حـين يكتفـي البعـض بحرقـه في المناسـبات، يـداوم آخـرون عـلى اسـتعماله بشـكل يومـي، ويختلـف نـوع البخـور المسـتخدم باختـلاف المناسـبة، كـما يقتـصر البخـور الرجـالي عـادة عـلى حـرق العـود وحـده،

بينـما تسـتخدم النسـاء نوعـاً مـن البخـور اسـمه (الدخـون)، يتفنّـن في صناعتـه، ويعرفـن جيـداً مكوناتـه ونسـبه.

فالدخـون تصنعـه النسـاء مـن عجينـة مكونـة مـن العـود والمسـك والعنـبر، وقـد يضـاف إليهـا دهـن الـورد ومجموعـة مـن العطـور، ثـم تخلـط معـاً وتعجـن، وتشـكل عـلى شـكل أقـراص مسـتديرة، وتسـتخدم بعـد أن تجـف كالعـود تمامـاً بوضعـه مـع الفحـم المشـتعل تحيـة للضيـوف.

* **مشتقات البخور:**

1- المعمول:

المعمـول عبـارة عـن مجموعـة مـن أخشـاب البخـور الصغـيرة المتبقيـة، تجمـع وتوضـع عليهـا خلطـة مـن الأطيـاب، وتوضع ببرطـمان زجاجـي، ويحكـم إغلاقـه لمـدة مـن الزمـن، ثـم يسـتخدم.

2- دهن العود:

مـن مشـتقات خشـب العـود، ويسـتخرج عـلى هيئـة سـائل يميـل لونـه إلى اللـون الأسـود، ويتميـز دهـن العـود برائحتـه النفـاذة القويـة التـي تميـزه عـن سـائر أنـواع العطـور، ويعتـبر دهـن العـود مـن الأطيـاب المحببـة إلى النفـوس، والأكـثر انتشـاراً في المجتمعـات العربيـة، وهـو مـن الأطيـاب الشـخصية للفـرد ويسـتعمل بشـكل دائـم بـصرف النظـر عـن نـوع المناسـبة.

* **طريقة استعمال دهن العود:**

توضـع قطـرة واحـدة أو قطـرات عـدة أو لمسـة في أماكـن عـدة مـن الجسـم، وبـين خصـلات الشـعر وعـلى الملافـع والشـيل والعبـاءات.

* **أدوات حفظ دهن العود:**

يوضـع دهـن العـود في قواريـر زجاجيـة صغـيرة في حالـة عرضـه للبيـع أو اسـتعماله، والزجاجـة الصغـيرة تكـون بـوزن (تولـة) واحـدة وأحيانـاً أكـثر أو أقـل، حتـى تصـل إلى ربـع التولـة.

وفي الماضي كان الصانـع أو أصحـاب محـال العطـارة يحتفظون بدهـن العـود في أوعيـة مصنوعـة مـن الجلـد، تشـبه قربـة

الماء، وتكون بأحجام كبيرة، وكل ما طالت مدة حفظه زاد تماسكه وجودته، والآن تستخدم (الدبة)، وهي وعاء معدني وبأحجام كبيرة يحفظ فيها دهن العود. وغالباً ما تنظف هذه الأوعية عند انتهاء الدهن منها، وتملأ مرة أخرى بعكس الزجاجة الصغيرة التي ترمى بعد انتهاء دهن العود منها.

أما(المُروَد): فهو أنبوب زجاجي أو حديدي طوله نحو (5 سم)، أو حسب حجم الزجاجة والمرود أداة أساسية مهمة لاستخراج واستعمال دهن العود من القارورة الزجاجية، ولا يحبذ استعمال المرود المصنوع من البلاستيك أو النايلون؛ لأنهما يؤثران في رائحة دهن العود فتتغير.

* **أماكن حفظ العود:**

يعد العود من الأشياء الثمينة؛ لذا فهو يحفظ في خزائن وحقائب خاصة، ولا يتم تعريضه للشمس أو الهواء حتى لا يفسد، وتختلف قوة رائحة العود تبعاً للمكان الذي توجد فيه الشجرة، فإذا كانت الشجرة على رأس الجبل كانت الرائحة قوية، وإذا كانت في السفح تكون الرائحة بسيطة، أما إذا كانت في سطح الأرض، فهي عادية، وكان البعض يحتفظون بالعود في (مطابق)، ومفردها مطبق، وهي أوعية بأغطية تستعمل لحفظ خشب العود والبخور.

* **وجيد البخور ذو ثلاث صفات يمتاز بها، هي:**

- يميل لونه إلى الاصفرار.
- أن يكون لونه طبيعياً ولم تدخله أصباغ.
- وزن النوع الجيد ثقيل.

* وللبخور في تاريخنا وتراثنا ذكر عجيب في الشعر والنثر على السواء، فقد جاء في كتاب الذخائر والتحف للقاضي الرشيد بن الزبير من القرن الخامس الهجري، طرائف

جمة عن البخور، نذكر منها على سبيل المثال:

أهدى ملك الصين لكسرى أنوشروان ألف مَنٍ (المَنُ: رطلان من العود الهندي ويذوب في النار كالشمع، ويختم عليه فتبين الكتابة).

وأهدى بعض ملوك الهند إلى الحسن بن سهل في زفاف ابنته ـ بوران ـ على الخليفة العباسي المأمون في سنة 210 هـ هدايا من بينها ـ سقط ـ عود لم يُرَ مثله، وقال علي بن المنجم كنا ليلة بين يدي الخليفة العباسي المتوكل على الله، ومعنا عبيد الله بن الحسن بن سهل، وكان الخليفة قد احتجم في ذلك اليوم، فناله ضعف، فأشار عليه الأطباء أن يتبخر بعود جيد، ففعل ذلك، فحلف كل من كان حاضراً أنه ما شمّ مثل ذلك العود قط! فقال عبيد الله: هذا والله من العود الذي أهداه ملك الهند إلى أبي ليلة زفاف أختي بوران على المأمون! فكذبه المتوكل، ودعا بالسفط الذي أخرجت منه القطعة، فوجدوا فيها رقعة مكتوب فيها: هذا العود هدية ملك الهند إلى الحسن بن سهل لزفاف بوران على المأمون. فاستحى المتوكل من تكذيبه، وأمر له بصلة!

وذكر أبو محمد القرعاني في تاريخه أن المأمون قد أصاب بخراسان كانوناً من الذهب مرصعاً بالجواهر، قيل إنه ليزدجر بن شهريار الفارسي، فقال ذو الرئاستين - الفضل بن سهيل بن الصولت: يا أمير المؤمنين الرأي أن تجعله في الكعبة يوقد فيه ـ العود ـ بالليل والنهار، فقال المأمون أفعل، وأمر بحمل الكانون إلى مكة المكرمة، واتصل الخبر بيزيد بن هارون المُحَدِّث، فأمر مستمليه أن يقف يوم الخميس عند اجتماع الناس وأصحاب الحديث، فيشكر المأمون، ويدعو له، ويخبر بخبر الكانون، ففعل المستملي ذلك، فلما سمع يزيد كلامه صاح وانتهره، وقال له: ويلك اسكت، إن أمير المؤمنين أجل قدراً وأعلم بالله عزّ وجلّ من أن يجعل بيته تعالى بيت نار (كالمجوس)، فكتب أصحاب البريد بذلك إلى المأمون، فأمر بكسر الكانون، وبطل ما كان دبره ذو الرئاستين!

وأهدى إسحاق بن زياد صاحب اليمن إلى عز الدولة أبي المنصور سنة 359 هـ هدية من جملتها دقل من عود قاري، طوله عشر أذرع، ووزنه ثلاثون مَنّاً! وأرسل طغرل بك سنة 448هـ صحبه الأمير قطب الدولة إلى ملك الروم هدية فيها عشر طبلات كافور (وعود). وأهدى الأمير ناصر الدولة أبو علي الحسن بن حمدان سنة 463 هـ إلى أرمانوس متملك الروم والمعروف بالريوجاس (-1068 1071م) هدية من جملتها دقلان من عود هندي أحدهما ثمانون، والآخر أربعون منّاً.

* ومن أطرف ما يروى عن تقاليد استعمال البخور قديماً، أنه إذا ضاق صاحب البيت بزواره بعد أن طالت فترة زيارتهم، أو ملّ حديثهم، فإنه يهرع إلى المبخرة، ويشعل فيها المسك ويطوف عليهم متمتماً «ختام مسك»، فينهض الضيوف للانصراف، فالقول الشائع بينهم هو «ما بعد العود قعود».

سوالف الهامور

متى يتقدم الابن على والده أثناء المشي؟

عبدالله خلفان الهامور
كاتب وباحث تراثي ـ الإمارات

من العيب في السنع وفي العادات والتقاليد الإماراتية أن يتقدم الابن على والده أثناء السير، سواء كان هذا السير على الطريق أو في الدخول إلى الأماكن العامة أو الخاصة أو المجالس، أو أن يتقدمه في السلام على الرجال، أو الترحيب بهم، فالأصل في الابن ألّا يتقدم على والده في كل المحافل، وهنا التقدم لا يقصد به أثناء المشي فقط، بل هو كل أمرٍ يجعل الأب في الصدارة، لا ينبغي للابن أن يتصدره بوجود والده، ولاشك في أن هذا الأدب دليل على الاحترام والتقدير للأب، كذلك من الأدب ألا يمشي الابن بجوار والده، بحيث يكون الكتف بالكتف، بل على الابن أن يتأخر خطوة على الأقل إلى الخلف، وهذا من الأدب مع الوالد، ويمشي عن يمينه، ولا يزاحمه أثناء المشي، بل يجعل بينه وبين والده مسافة يرتاح فيها أثناء سيره، وكان بعض الآباء إذا تقدم عليه الابن أثناء السير حجبه بيده أو مسك يد ابنه كأنه يطلب منه أن يتأخر قليلاً، وهذه من التربية التي كنا نحصل عليها ونتعلمها من الآباء وكبار السن.

ولكن هناك استثناء لهذا الأدب، حيث يجوز للابن أن يتقدم على والده في وقتٍ واحد فقط، وهذا الوقت هو في الليل الحالك الظلمة، وقد فسّر لنا كبار السن هذا بأنه قد يكون في الطريق حفرة فلا يراها الأب، فيكون الابن فداء لوالده، أو قد يراها الابن لقوة بصره وضعف بصر والده، فيتدارك الأمر قبل أن يقع الأب في الحفرة، ونقيس على هذا كل ما هو قد يؤذي الأب في هذا الوقت، وكذلك يجوز له أي الابن أن يمشي أمام والده مرة وخلفه مرة كأنه في هذه الحالة حارس له، حتى لا يصيبه مكروه، وهذا من أرقى أنواع البر بالوالدين، أما إذا كان الطريق واضح المعالم، وذلك لوجود الأنوار أو في نصف الشهر العربي لوجود نور القمر واتضاح الرؤية، ففي هذه الحالة لا يتقدم الابن والده مادام الأب يرى بوضوح، فحالة تقدم الولد والده تكون في الليلة الظلماء المعتمة.

وهذا الأدب ينسحب كذلك على كل كبيرٍ في السن (شايب)، فإذا افترضنا أنه يمشي بجوار هذا الشايب أحد الشباب، فإنه يلزم على الشاب أن يتأخر خطوة إلى الخلف عنه، ويأخذ حكم والده نفسه، لأن كبير السن في عاداتنا وتقاليدنا يعامل معاملة الأب والجد، وإذا كان السير معه في الليل، فإنه يتقدمه مثلما يفعل مع والده، احتراماً وتقديراً ورحمةً بكبير السن، وهذه هي تعاليم ديننا الحنيف، قبل أن تكون عاداتنا، وهذا دليل كذلك على أن عاداتنا وآدابنا أخذت من هذا الدين العظيم. وإن مثل هذه الآداب تحمل بين طياتها معنيين: معنى ظاهر ومعنى باطن، وهذا من جميل تراثنا وعاداتنا، فالأمر الظاهر هنا وفي هذا الأدب، هو عدم التقدم على الأب في السير أثناء المشي في الطريق، وأما المعنى الباطن فهو عدم تقدم الابن والده في جميع الأمور الحياتية، وما تتوجب فيها الصدارة، وكلا المعنيين يدل على الاحترام والتقدير للأب، ولكن للأسف في هذا الوقت بتنا نرى أن هذا الأدب قد تم تجاوزه واختراقه من البعض، وبشكلٍ ملاحظ، حيث رأينا الأبناء يتقدمون آباءهم والشباب يتقدمون على كبار السن، سواء كان ذلك في المشي أو في الدخول إلى المجالس، سواء كانت هذه المجالس مجالس أفراح أو مجالس عزاء، وكأن هذا المنظر أصبح متعارفاً عليه، وذلك لكثرة تكراره ومشاهدته، ولاشك في أن هذا الأمر يورّث قلة الاحترام والتقدير لكبار السن للأجيال القادمة، فعلى الشباب أن يتمسكوا بعاداتهم الحميدة وتقاليدهم الطيبة، وعليهم أن يقدموا الآباء وكبار السن في الدخول والخروج، وألا يتقدموهم.

ولابد أن نعلم جميعاً أن ما نفعله اليوم مع آبائنا سوف يفعله أبناؤنا بنا غداً، وكما قيل «كما تدين تدان»، فعلينا أن نقدم ما نحب أن نراه في المستقبل عملاً طيباً.

المقيظ.. رحلة الهرب من الحرّ

سعاد الكلباني ـ مراود

واجه المواطن الإماراتي قديماً جميع أنواع صعوبات المعيشة وقسوة الطبيعة، التي سعى في كل الأحوال إلى تجاوزها، وإن كان الثمن لذلك المغامرة بحياته أو فقدان عزيز عليه، فلجأ قديماً إلى «المقيظ»، وهي إحدى الرحلات التي ابتدعها الإماراتي ليواجه حرارة الصحراء عبر التنقل من مناطق الساحل، التي تشتد حرارتها ورطوبتها صيفاً، إلى المناطق المعروفة بالمقايظ منها «البراحات»، و«الواحات»، و«المحاضر»، التي غالباً ما تمتاز ببرودة الطقس.

وتبدأ رحلة المقيظ مع بداية فصل الصيف، والمعروفة عند سكان الإمارات قديماً بـ«الكيظ» أو «القيظ»، وهو الموسم الذي ترتفع فيه درجة الحرارة، إذ غالباً ما تتجاوز الـ40 درجة، كما ترتفع نسبة الرطوبة، خصوصاً على السواحل، ويبدأ موسم القيظ في الإمارات تحديداً مع دخول شهر مايو، وظهور نجم الثريا أول نجوم الصيف «القيظ»، وما يلحق بها من ظواهر أخرى مثل انتشار الرطب منها النغال والصلاني، وينتهي موسم «القيظ» في شهر سبتمبر وتحديداً وقت دخول «الأصفري»، أي فصل الخريف عند طلوع نجم سهيل.

والقيظ هو فصل الصيف وأوله برج السرطان، وشديد الحرارة، يليه برج الأسد، ثم السمبلة التي تبشر بنهاية القيظ، وللقيظ معان كثيرة، منها بمعنى بشارة نضوج الثمر، فيقولون: «قاظت نخلكم؟» أي هل بانت تباشير نضوجها.

ومن وصفهم للقيظ وخيراته:

الراعبي في نايف العود	يلعي طرب ويعدل اصوات
يبغي يشم العطر والعود	فرحان بشلول الكريات
امشاهداته ترف لخدود	غض الصبا عذب الثنيات
ياسعد من شله على ورود	شقر ولهن في الهين بنات

وسائل التنقل:

تختلف الوسائل المستخدمة لرحلات الحضار إلى المقائظ، إذ تعتمد على المناطق التي سيقضون الصيف فيها وبعدها عن مدن السواحل، وتعتبر قوافل الجمال هي الوسيلة الرئيسة لرحلات الحضار إلى المقائظ، والتي تستخدم لعبور الصحراء والوديان والجبال، كما تستخدم السفن الخشبية الصغيرة والكبيرة وسائل للنقل إلى

المناطق البعيدة، كما تستخدم القوارب الخشبية الصغيرة المعروفة باسم «الشواحيف» للتنقل إلى المناطق القريبة.

وتعتبر مهنة «الكري» من أشهر المهن في موسم «المقيظ»، إذ ينتظر «الكريان» أو أصحاب الجمال، فترة الصيف بفارغ الصبر لينطلقوا في مجموعات إلى مدن الساحل لنقل الحضار (أهالي الساحل) إلى مناطق مقيظهم، وتتكوّن كل مجموعة من ثلاثة إلى أربعة «كريان»، الذين غالباً ما يكونون من البدو المعروفين بأمانتهم، ويعتبر «الكريان» من أصحاب الخبرة، ولديهم إلمام كامل بالدروب الصحراوية التي يسلكها الحضار، التي تتوافر فيها آبار المياه وأماكن للراحة، سواء الطرق المؤدية إلى المناطق الجبلية والصحراوية في الدولة، أو الدول المجاورة مثل سلطنة عمان.

والاستعدادات لرحلات قوافل الجمال تتم باتفاق الحضار مسبقاً مع الكري وهو صاحب الإبل، عندما يأتي إلى المدينة لبيع الحطب، إذ يتم تحديد موعد الرحلة وعدد أفراد العائلة، ليتمكن الأخير من توفير الإبل اللازمة للرحلة، وتراوح أجرة الكري بين روبية و01 روبيات، وذلك حسب الجهة المقصودة، وبعد المسافة عنها وحمولة القافلة.

وغالباً ما تتكفل النساء بالتحضير لرحلة المقيظ وإجراء ترتيباتها، وذلك لغياب معظم الرجال وانشغالهم في التحضير لموسم الغوص، وتتولى الإماراتية أمر الرحلة، وتعتمد على نفسها في أدق تفاصيلها، وتقوم بالاتفاق مع الكري، مبينة له عدد المطايا التي تحتاجها، وتحديد موعد الرحلة، وفي العادة يتم الاتفاق مع الكري قبل موعد السفر بأسبوع أو أسبوعين، حتى يكون هناك متسع من الوقت للاستعداد للرحلة، إذ يطلق على هؤلاء النساء (الكريات)، للدلالة على مجموعة النساء اللواتي يتدبرن أمر الاتفاق مع الكري للقيام برحلة المقيظ.

مناطق المقيظ:

«البراحات» اشتهرت كمقائظ في بعض المدن الساحلية منها أبوظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين، وتمتاز بمساحات واسعة من أشجار النخيل وآبار المياه العذبة ورمالها البيضاء، ويقصدها الأهالي لقضاء فترة الصيف، ويطلق على هذه المناطق أسماء عدة، مثل البراحة أو النخل، واشتهرت قديماً كلمة «البراحة» وجمعها «براحات» كاسم يتداوله الأهالي، وتتسم البراحات بالهواء المعتدل نتيجة بعدها عن الساحل الذي ترتفع فيه درجة الحرارة والرطوبة.

ويقضي فترة القيظ في البراحات من لديهم مصالح في المدن أو أعمال ومهن، وتحديداً الذين لا يستطيعون الذهاب إلى المقايظ البعيدة من محدودي الدخل أو الذين يشكون أوضاعاً صحية متردية، ومن أكبر البراحات المعروفة في أبوظبي تشتهر منطقة «البراحة»، وفي دبي مناطق مثل «أم سقيم» و«أبوهيل» و«البراحة» و«الوحيدة» و«جميرا»، وفي الشارقة هناك مناطق معروفة ومخصصة للمقيظ منها «المرقاب» و«النباعة» و«الشرق» و«الفلج» و«اليزيرة» و«الحيرة».

و«نخل عبدالله بن رحمة» و«سمنان»، وفي عجمان مناطق «نخل مريم» و«اليوارة»، وفي أم القيوين منطقة «الراس» و«الحيل» و«شعم» في رأس الخيمة.

أما النوع الثاني من المقايظ، فهي الواحات الصحراوية، التي تمتاز بشهرة واسعة في الإمارات، خصوصاً بين أهالي أبوظبي ودبي، وتتميز الواحات بكثرة أشجار النخيل والفواكه والمحاصيل الموسمية، كما تضم آبار المياه والأفلاج والعيون، وتتسم بالهواء المعتدل وتنحسر فيها الرطوبة.

وتعتبر واحات مدينة العين الخضراء من أشهر مقايظ الإمارات قديماً، والمناطق المشهورة فيها مثل القطارة والهيلي والمعترض والداودي والجيمي، كما توجد على مقربة من العين منطقة البريمي التابعة لعمان، التي تفضلها الكثير من العائلات في أبوظبي ودبي والشارقة، وترحل إليها في قوافل جماعية، كما تشتهر محاضر «ليوا» وجزيرة دلما والجزر القريبة منها.

وهناك نوع ثالث وهو المناطق الزراعية والجبلية، إذ تعتبر من أشهر المقايظ التي يفد إليها الحضار من مختلف مناطق الدولة، لتميزها بوفرة آبار المياه العذبة والأفلاج وعيون الماء الحارة، وتوجد في هذه المناطق الكثير من البساتين التي تضم مختلف أنواع الفواكه الصيفية وأشجار النخيل بأصنافها المختلفة، مثل اللولو والخصاب والنغال، والخضراوات والأعشاب الطبية التي تنمو في هذا الموسم، وكذلك العسل الطبيعي الذي يتوافر في هذه الفترة.

وفي الساحل الشرقي تنتشر مناطق السهول الزراعية الممتدة من كلباء جنوباً حتى دبا شمالاً، التي تكثر فيها أشجار النخيل والفوكه والخضراوات، ومن أهم المقايظ سهول «كلبا» المشهورة ببساتينها الكثيرة، التي تحتوي على أنواع من أشجار الفاكهة، وتضم مختلف أنواع النخيل والآبار العذبة، وتقصدها العائلات من أبوظبي والشارقة ودبي، أما مقيظ «دبا»، فيعتبر من المقايظ المفضلة لأهالي الساحل، وورد ذكرها في قصائدهم الشعرية.

رحلة العودة

يقضي الحضّار في المقائظ فترة تراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر تقريباً حتى أواخر فصل الصيف، وهي الفترة التي يعلن فيها انتهاء موسم الغوص الكبير «القفال»، وعودة البحارة والغواصة إلى ديارهم، ورحلة عودة الحضار من المقيظ إلى الساحل تبدأ في أواخر الصيف، إذ يقوم الحضار بتجهيز أمتعتهم استعداداً لموعد وصول الكريان الذين تم الاتفاق معهم مسبقاً على موعد العودة، الذي يسبق عودة البحارة من رحلة الغوص بأسبوعين تقريباً.

ويقوم المزارعون من سكان البراحات بتقديم الهدايا الحضار، وتسمى عندهم «الشفية»، وتشمل التمر وهي أكياس مصنوعة من السعف يوضع فيها التمر والليمون المجفف والهمبا أو المانجو الأخضر التي تصنع منها المخللات، إضافة إلى الخل والسمن البلدي والمنتجات المصنوعة من سعف النخيل، مثل الحصر والمهفات.

وتضطر بعض العائلات إلى العودة بوساطة السفن الشراعية بدلاً من قوافل الجمال، وذلك لكثرة المواد والمؤن والهدايا التي يحملونها معهم من المقيظ، ويفضل بعضهم القيام بشحن المواد والمؤن عن طريق البحر بوساطة السفن على أن يعودوا إلى مناطقهم عن طريق البر ليجدوا مؤنهم ومشترياتهم قد وصلت، وتمتاز رحلة العودة بصعوبتها، إضافة إلى التأثير النفسي في الحضار وأهالي المقايظ، الذين يتفارقون بعد أشهر تعايشوا فيها مع بعضهم، فكوّنوا صداقات وتناسبوا وتزوجوا فيما بينهم.

ويبقى موسم القيظ ذا بعد ثقافي واجتماعي واقتصادي كبير، أثر في نمط حياة أهل الإمارات قديماً أيما تأثير، وإن غاب كله أو جزء منه في عصر طوفان الحداثة والمدنية، وأصبح البحث عنه واجباً وطنياً، وإن كان مضنياً؛ لأن ذكرياته دفنت تحت ناطحات السحاب، ولن يتمكن من البحث فيه والكتابة عنه إلا مثقف وباحث غيور على تراثه في عصر التكنولوجيا الرقمية والمدن الذكية.

لباس «الحَايْكْ» رمز لجمال المرأة المغربية وعفتها

محمد الإدريسي
كاتب وباحث - المغرب

شكل اللباس التقليدي، منذ قرون طويلة، معياراً لتحديد جمال المرأة، ومقياساً لعفتها داخل المجتمع، وفي نظر الثقافة. تتفاعل المرجعية الدينية الإسلامية مع المخيال الثقافي المحلي في نسج خيوط أدبيات اللباس والاختلاط بين الجنسين في المجالين الخاص والعام، بالشكل الذي يحافظ على القيم الاجتماعية والأخلاقية، ويبرز المعالم الجمالية للمرأة. وتبعاً لذلك، اعتبر ارتداء «الحَايْك» (اللباس التقليدي للمرأة المغربية) في المنزل، والمناسبات، والاحتفالات والطقوس الدينية والاجتماعية، مرجعاً أساسياً لتعريف قيم عفة وجمال المرأة في المجتمع المغربي.

تخضع فلسفة جمال المرأة في المخيال الشعبي لقواعد ونظم أخلاقية وقيمية خاصة، يتداخل في إطارها الظاهري بالباطني والأخلاقي بالاجتماعي. فليس الجميل في نظر المجتمع معاكس للقبيح فقط، بل إنه الأخلاقي والقيمي نفسه؛ أي أن ملكة الحكم الجمعي على القيم الجمالية غير مفصولة عن تصور المجتمع نفسه لمفاهيم العفة، الخلق الحسن، الفضيلة... وغيرها من المفاهيم التي تنهل من القيم الدينية وحكمة وفلسفات الأجداد. نجد هذا الدمج بين القيم والأخلاق من جهة، واللباس والمظهر الحسن من جهة أخرى، حاضراً اليوم في الأجندات الثقافية والعلمية للجان تحكيم كبرى المسابقات العالمية حول الجمال (مسابقات اختيار العارضات وملكات الجمال).

إن المرجعية العربية الإسلامية لا تفصل بالضرورة بين رموز العفة والوقار لدى المرأة، وبين رموز الجمال الظاهري والباطني، فكلما كانت المرأة خلوقاً، عفيفة ومتواضعة، كانت جميلة في نظر المجتمع (حتى ولو لم تملك مقومات جمالية ظاهرة على مستوى الشكل)، في حين أنه مهما بلغت درجة جمال المرأة غير العفيفة على مستوى الشكل («حروف الزين» بالدارجة المغربية)، فإنها لا توصف بـ«الجميلة»؛ بمعنى أن مفهوم الجمال الثقافي والديني للمرأة يختلفان عن تصورات الجمال الجسدي والشكلي في عصر العولمة.

يعتبر «الحايك» نموذجاً للباس التقليدي الموروث من جيل إلى جيل، والذي يعد الحفاظ عليه رمزاً ومعياراً لمختلف التوصيفات والتصورات المنتجة ثقافياً وشعبياً حول جمال المرأة وعفتها.

يعد الحايك في الواقع لباساً بسيطاً في أساسه، حيث يتشكل بالضرورة من قطعة قماش أو صوف[1]، غالباً ما تكون من لون واحد أو لون اعتيادي يتماهى مع نمط الحياة اليومية، تصنعه المرأة يدوياً (فردياً أو جماعياً)، وترتديه داخل المنزل (في حالة وجود ضيوف أو غرباء)، وخارجه (في ولوجها للمجال العام بغية التسوق، حضور الاحتفالات أو المناسبات أو قضاء الأغراض التي تستوجب الاحتكاك بالرجال) في الآن نفسه. صحيح أن ظهور الحايك وتطوره اقترن بالمدن العتيقة التي فرضت على المرأة الخروج من المنزل، لكنه يظل لحدود اليوم اللباس الأساس للمرأة القروية خارج المنزل، ويعد نموذج اللباس الموحد بشكل كبير، منذ قرون، بين مختلف مكونات الثقافة المغربية (عربية، حسانية، يهودية أو أمازيغية).

أسماء وأنواع الحايك

يسمى بـ«السفساري» في تونس، «الفراشية» في ليبيا، و«الحايك» في المغرب والجزائر.

تختلف أسماء الحايك بحسب المناطق المغربية (ليزار، اريزار، أدغر، أسميراد...)، إلا أننا نصادف حضور هذا اللباس في مختلف الثقافات المحلية المغربية. ذُكر الحايك في العديد من كتابات الرحالة والإثنوغرافيين والباحثين الاستعماريين (من ادموند دوتي إلى كليفورد غيرتز)، سواء في حديثهم عن العادات والتقاليد وأنماط اللباس الشعبي أو مكانة المرأة داخل المجتمع. تختلف أشكال وأصناف الحايك (وفقاً للزمان والمكان)، بين الحايك التقليدي بسيط الشكل والاستخدام والمعتمد على المواد الأولية المتوافرة دون زخارف أو ألوان مميزة، والحايك المعاصر المستخدم إما لأغراض تجارية وتزيينية أو سياحية وتراثية، والذي تفاعل مع تحولات عالم اللباس والألبسة العالمية. لابد كذلك من التمييز بين الحايك و«المَلْحَفْ» ضمن نمط وثقافة اللباس بالمغرب، فالحايك لباس مغربي تقليدي يستمد مرجعياته القيمية، الأخلاقية والجمالية من الدين الإسلامي وتراث

بالمجال الخاص (المنزل)، إلا أن ذلك لم يمنع المجتمعات من التفكير في استراتيجيات ونظم اجتماعية تحكم وتنظم خروج المرأة إلى المجال العام (مجال التجارة، الأسواق، العمل...)، وتحافظ على المسافة التقليدية بين الرجل والمرأة، وتحفظ الشرط الديني للاختلاط بين الجنسين. تبعاً لذلك، تم الرهان على اللباس من أجل تحقيق وظيفة الدمج بين البعد الأخلاقي، والبعد العملي في تفاعل النساء مع العالم الخارجي.

يستند الحايك في تاريخه الطويل إلى المرجعية الدينية - الإسلامية التي تنظم الاختلاط بين الجنسين داخل المنزل وخارجه، من منطلق دعوة الله تعالى للرسول، عليه السلام، من أجل حثّ نسائه (ونساء المسلمين ضمنياً) على تغطية رؤوسهن. من هنا جاء الحايك ليحقق وظيفة تغطية الرأس من جهة، وتمييز العالم النسائي من العالم الذكوري من جهة أخرى. لقد كانت المجتمعات التقليدية واعية بأن الدعوة الدينية إلى تغطية رأس المرأة، تنظيم الاختلاط بين الجنسين، مؤداها تغطية الجسد ككل، وجعله محط احترام، عفة ووقار، والحايك وحده كفيل بهذه المهمة. لذلك، فارتباط الحايك بالمرأة في المجتمعات التقليدية دليل على أن هذه المجتمعات لم تمنع المرأة من الخروج إلى العالم الخارجي (خاصة لممارسة التجارة اقتداء بنموذج أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها)، بل وضعت لذلك شروطاً منظمة تحافظ على مكانة المرأة داخل المجتمع، وتفتح لها الباب لتحقيق ذاتها.

إن الفتاة ومجرد بلوغها تكون مدعوة إلى ارتداء الحايك، في دلالة على استعدادها للزواج من جهة، وتربيتها وحسن خلقها وأصالة عائلتها من جهة أخرى. أكثر من ذلك، غالباً ما يكون لون الحايك الصوفي هو الأبيض، في دلالة على الطهر، العفة والاحترام في المخيال الثقافي المغربي والمغاربي عموماً؛ لهذا، لم يكن وارداً إمكانية خروج المرأة أو التفاعل مع الغرباء دون حايك، واختيار الشاب لزوجته يعتمد على مدى احترامها للشروط الثقافية للباس المحتشم: كلما كانت الفتاة محتشمة في اللباس فذلك دليل على مطاوعتها لإرادة الأسرة، وبالتالي ستكون مطاوعة لإرادة الزوج، وكلما كانت حريصة على الوقار في لباسها ضمن تفاعلها مع عالم الرجال كانت محط تقدير الجميع («بنت الناس» أو «امرأة بعقلها» في الدارجة المغربية).

لا يقتصر ارتداء الحايك على الفتيات والنساء غير المتزوجات (أو بعد الزواج)، بل حتى النساء المسنات والطاعنات في السن. ينظر دوماً إلى اللباس كمعيار لتحديد أخلاق المرأة، عفتها ووقارها بين الرجال، وكذلك داخل عالم النساء أنفسهن، من منطلق أن ارتداء الأم أو الجدة للحايك ليس الغرض منه ستر العورة والاقتداء بالنهج النبوي الشريف فقط، ولكن الحفاظ على احترام المعايير والنظم الأخلاقية، وأدبيات الاختلاط ونقلها من جيل إلى جيل عبر من يُنظر إليهن كقدوة داخل عالم النساء.

الحايك رمز جمال المرأة

يتسم تصنيع الحايك المغربي بلمسات إبداعية تجعله جميلاً في حد ذاته، ومحبوباً من قبل مختلف النساء وبين مختلف الشرائح العمرية، البيئات الثقافية والمناطق الجغرافية. بما أن الصوف هو المادة الأساس المتدخلة في صناعة الحايك - نظراً لتوافره الدائم - فإنه يظل لباساً في متناول جميع نساء المجتمع (على خلاف الملحف الصحراوي الذي يعتمد أحياناً على الحرير في تصنيعه)، ويمتاز بثمنه البسيط، وتصنيعه اليدوي والمنزلي. لهذا، تحرص النساء عند تصنيعهن (النساء القرويات) أو اقتنائهن (النساء المدينيات) الحايك على الأخذ بعين الاعتبار المؤشرات الجمالية كمعيار في اختيارهن الحايك، وفقاً للسن، الوضع الاجتماعي (فتاة، متزوجة، مطلقة...)، أو المناسبة والطقس موضوع اللباس (زفاف، عقيقة...).

في الواقع، يحضر الحايك في مختلف المناسبات الاجتماعية والدينية: نجد حضوراً له في طقس العقيقة («السبوع» باللهجة المغربية)، حيث ترتدي الأم «الحايك الأبيض» لاستقبال زوارها وتغطية نفسها أمام الغرباء؛ في الخطبة («قراءة الفاتحة» باللهجة المغربية) من خلال إضافة ألوان أو ألبسة أخرى يكون الحايك فوقها؛ في طقس الزواج، حيث ترتدي العروس الحايك وتلتحق ببيتها المستقبلي رفقة زوجها فوق الدواب (بالقرى)، أو عبر مسيرة وحشد مهيب (بالمدن). كما ترتديه المرأة الأرملة («الهجالة» باللهجة المغربية)، حزناً على زوجها... كل هذه الاستعمالات، رغم بساطتها ودلالاتها التاريخية العميقة، تؤكد أنه فضلاً عن الوظيفة الأخلاقية للحايك، فإن له وظيفة وغاية جمالية واحتفالية تجعل منه «لباس زينة».

إذا جاز لنا الحديث بلغة أنثربولوجية عن الوظيفة الرمزية للحايك داخل بنية المجتمع المغربي، فسنجده «لباس الفقراء ومقياس وأداة تجميل الفقيرات». إن الزوج يقتني الحايك لزوجته (أو يقتني لها المواد الأولية لصناعته)، تعبيراً عن وضعه الاجتماعي البسيط، في مقابل أن المرأة تقبله وتحوله إلى رمز لجمالها، تواضعها، بساطتها وأخلاقها العالية، (تلك هي «بنت الأصل» التي تتحدث عنها الميثولوجيا الشعبية المغربية).

لمجابهة «الزْمَان» (أو الحياة) تعمل النساء على مساعدة أزواجهن قدر المستطاع، سواء في أعمال المنزل، التجارة أو تربية الأبناء. يُستثمر التصنيع المنزلي للحايك في القرى المغربية، (رغم حضوره أيضاً في المدن) لتمضية الوقت في أمور مفيدة (اكتساب «الصَنْعَة»)، وتوفير الاحتياجات الأساسية من الملبس، فضلاً عن توفير دخل إضافي للنساء والأسر القروية، لذلك يمكن إدراج نسج الحايك ضمن الصناعات المعاشية المسهمة في تنمية المناطق القروية منذ القدم.

ختاماً، ارتبط الحايك تاريخياً بالنسق القيمي والأخلاقي الثقافي والديني للمجتمع المغربي، ونُظر إليه كمعيار لجمال، وعفة، واحترام وتقدير المرأة المغربية، وفرصة لمساعدة أسرتها وفقاً لأبعاد جمالية وإبداعية خاصة. اليوم، ومع تطور العولمة وانشباكية العوالم المعاصرة، أضحى للحايك رهانات سياحية وخدماتية من نوع جديد: يُقبل السياح المغاربة والأجانب على الحايك، لأهداف جمالية ودينية (في إطار منطق «الجمال المحتشم»)، وتجارية وتسويقية (تجارة التحف والموروثات التقليدية المادية)، ما أسهم في تعزيز حضوره ضمن المناسبات والمهرجانات المحلية والدولية، كرمز للهوية المغربية الأصيلة، وصلة ربط بين ماضي وحاضر ومستقبل التمثلات الاجتماعية والثقافية حول المرأة المغربية.

1 - تاريخياً، شكّل الصوف المادة الأساس لتصنيع الحايك في المجتمعات القروية التي تعتمد على تربية الأغنام.

2- تختلف ألوان ووظائف الملحف باختلاف المناسبات وسن ومكانة المرأة التي ترتدي الملحف، عكس الحايك الذي يستهدف مختلف الشرائح العمرية، ومختلف المناسبات الاحتفالية، كرمز للبساطة والتواضع (خاصة ضمن التمثل القروي للجمال).

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في الفيلم الوثائقي العالمي*

د. سمير الضامر
باحث في الدراسات الثقافية
والفولكلور الشعبي ـ السعودية

لم يرحل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان عن القلوب! بل سكن في شغافها، وتمكن من شرايينها، ليس هو الرجل السياسي فحسب، بل ارتبطت معه شيم العروبة ومكارم الأخلاق والإنسانية، اجتمعت فيه شمائل كثيرة قلما تجتمع في أحد إلا أن يكون قائداً كبيراً، ولكنه لا يشبه الشيخ زايد؛ لأنه بصم بصمته في أرجاء العالم. وإذا كان الناس قد أحبوه وهذا أمر طبيعي لما له من فضائل وشمائل، فما بال (الكاميرا) التي أحبته هي الأخرى، والتصقت به في العديد من المناسبات التوثيقية الرسمية والشخصية، لقد رأت الكاميرا الوثائقية في الشيخ زايد شخصية عربية، وبطلاً شعبياً رائعاً، كأبطال التاريخ والتراث العربي العريق، فكان هو الشخصية والمحور والمركز لأحد الأفلام الوثائقية العالمية.

جماليات اللقطة في الفيلم الوثائقي:

تكمن أهمية الفيلم الوثائقي (llewerafaibara) الذي تم إنتاجه في الستينيات الميلادية من القرن العشرين، في كونه وثيقة أنثروبولوجية وتاريخية وشعبية وسياسية لمنطقة مهمة من مناطق العالم، وهي دولة الإمارات العربية المتحدة قبل قيام الاتحاد، وكل عنصر من هذه العناصر المعرفية التي التقطها ووثقها الفيلم هي قابلة لتكون موضوع دراسات وقراءات، وهي على الرغم من مكانتها وجمالياتها في الفيلم، إلا أنها كانت بمثابة المسرح الذي تحركت من خلاله اللقطات لتوثق سيرة وكفاح وحنكة الشيخ العربي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله.

لا أنكر استمتاعي بمشاهدة الفيلم، فقد رأيت فيه نصاً ثقافياً مفعماً بالعديد من الجماليات الطبيعية الإنسانية، وبالعديد من مظاهر الأنثروبولوجيا الشعبية، ففيه العادات والتقاليد، والفنون والأهازيج الشعبية، والملابس والأزياء الشعبية للرجال والنساء، وفيه الحِرفْ وفنون العمل والتجارة، وفيه اللهجة وطرق الكلام والحديث ولغة الجسد، وفيه نصوص سمعية مدهشة متداخلة، ما بين النصوص الدينية كآيات القرآن الكريم بصوت القارئ عبدالباسط عبدالصمد، وصوت الأذان للصلاة، وأصوات الناس في الأسواق والطرقات والمخيمات، وأصوات الأهازيج والفنون الشعبية، وأصوات أسطوانات الغناء الشعبي الجميل، وأصوات الجِمال في الصحراء، وأصوات طبيعية كصوت الرياح والبحر وعمال المصانع واستخراج النفط، كل هذا وغيره جعل الفيلم مملوءاً بالجماليات الفنية التي تدهش وتلتقط اهتمام الباحث والمتابع للتاريخ والتراث على حد سواء.

حفل الفيلم الوثائقي بالعديد من اللقطات الجميلة الذكية المفعمة بالدلالات، ومنها: ثنائيات الصحراء والمدينة.. ثنائيات الماء والحياة.. ثنائيات الرجل والمرأة.. ثنائيات الجِمال والسيارات.. ثنائيات الخيمة والبناء المعماري، ثنائيات الطّير والرَّجل... ومن اللقطات الجميلة في الفيلم: لقطة في المقناص: الطَّير الحر، ثم تليها لقطة للشيخ زايد على المائدة، إذا كانت لقطة: (الطير الحر يقطع اللحم ويأكل).. ثم تليها لقطة: (الشيخ زايد يقطع اللحم ويطعم من حوله من الرجال)، هي تقنية الفيلم من أجل المقابلة الشكلية ما بين الطير الحر والشيخ زايد، في الجَمال والسرعة والصبر والمقاومة، فإن الشيخ زايد يتفوق على الطير الحر في الجانب المعنوي، فالطير الحر قطّع اللحم لنفسه، بينما الشيخ زايد قطّع اللحم ووزع على رجاله؛ ولذلك فهو أكثر حرية وإنسانية ومعنى من الطير، وهذه دلالة الكرم والإيثار

وشخصية الأب والقائد كما هو الشيخ زايد، رحمه الله.

وكل معالم الدهشة والتلقي تستفز سؤالاً في داخلي: هل هذا الفيلم هو فيلم وثائقي أم روائي؟

للأفلام الوثائقية جمالياتها الخاصة، وقطعاً فقد تختلف جمالياتها عن جماليات الأشكال والفنون الإبداعية الأخرى، لكنها بلاشك تستفيد منها وتحسن توظيفها بما يجعل الفيلم الوثائقي قطعةً فنيةً مملوءة الأنواع والأشكال، وذلك لخدمة الموضوع التوثيقي، الذي يتناوله الفيلم، بكل أبعاده الإنسانية والثقافية.

وللأفلام الوثائقية العالمية بُعد خاص في تناول الموضوع العربي، وخصوصاً ما يرتبط بتاريخ العرب وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ورجالاتهم، وكل التفاصيل الصغيرة والكبيرة التي رصدتها العدسة العالمية بمختلف مدارسها البريطانية أو الأمريكية أو الفرنسية، وذلك للرصيد المكتنز عن حضارة العرب وثقافتهم لدى العالم، وأيضاً ما تمتلكه أرشيفات ومكتبات البحوث العالمية في مجال دراسات الشرق، والتي كانت قائمة على البحوث التوثيقية الميدانية.

لقد كانت عوالم الأساطير، وعوالم (ألف ليلة وليلة) العربية مصدر إلهام وإدهاش كبيرين للعالم الغربي، وأثمرت عوالمهما إنتاج العديد من أنواع البحوث والتصاوير والأفلام عما تصوره الغرب عن العرب، ليس من خلال ألف ليلة وليلة وحدها، بل من خلال العديد من نصوص الكتابات العربية التراثية، ونصوص الرحالة والمستشرقين الأجانب الذين سافروا من بلدانهم، وأقاموا في عدد من البلدان العربية لسنين طويلة؛ يرصدون ويوثقون ويرسمون ويصورون أدق حالات الإنسان العربي وحياته الثقافية والاجتماعية، وكانت الجزيرة العربية وبلدان الخليج العربي إحدى محطات الرؤية والجذب، فكانت المئات من الكتب والوثائق والأفلام والمرتسمات والخرائط حول تاريخ وأنثروبولوجيا الخليج والجزيرة العربية.

في فيلم (aibara lleweraf) ترصد العدسة الوثائقية شخصية من شخصيات شيوخ العرب في الخليج العربي، إنه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة، وباني نهضتها، ومؤسس اتحادها، وتجعل تلك العدسة التوثيقية من شيخ العرب الشيخ زايد محوراً مهماً في بنية الفيلم الوثائقي الذي تظهر من خلاله سيرة وفكر وتخطيط وعلاقات الشيخ زايد، رحمه الله، المحلية والعربية والعالمية، وليس هذا، بل هذا الفيلم يجعل من التاريخ الشعبي الإماراتي مسرحاً لأحداث سرد سيرة الشيخ زايد وتعاملاته وتطلعاته. بمعنى أن هذا الفيلم هو مزيج من: شخصية رجل قيادي بنى دولة حديثة رائعة ورائدة في مجالات متعددة، وتوليفةِ رصد للكثير من الظواهر الشعبية الاجتماعية بكل أبعادها الأنثروبولوجية والدينية، وعلاقاتها بالإنسان وأماكن وجوده في الصحراء والبحر والريف.

شيخ العرب زايد بن سلطان:

رصد الفيلم الوثائقي (aibara lleweraf) جانباً من سيرة وحياة وإدارة الشيخ زايد، وتطلعاته لبناء الدولة الحديثة، وهذا الرصد كان من خلال انتقال العدسات من مكان إلى آخر، لرصد واقعية الحياة الطبيعية والإنسانية والاجتماعية التي عاشها الشيخ زايد وشعب الإمارات في فترة ما قبل تأسيس الاتحاد، ومن جماليات الفيلم التوثيقي أنه يرصد بشكل مباشر وطبيعي لا تَصنُّع فيه، وكل من يشاهد الفيلم سيشعر بقربه الوجداني والإنساني من سيرة الشيخ زايد وشعب الإمارات، خصوصاً أن حياتهم هي حياة مقاربة

ومشابهة لكثير من شعوب الخليج والجزيرة العربية في سنوات ما قبل اكتشاف النفط.

ومن جماليات الفيلم وجود صوت الراوي الذي يعلق على المشاهد واللقطات، ذلك الصوت الأجنبي الفصيح في نطقه للغة الإنجليزية البريطانية، وهو بذلك يذكرنا بحالة التلقي التي كنا نشاهد فيها أفلام الموسوعة البريطانية أيام طفولتنا في المدارس الابتدائية، وصوت الراوي ربما ابتعدت عنه بعض المدارس الوثائقية كنوع من التطوير والتحديث، إلا أنه ممتع بالنسبة إلينا نحن ـ العرب ـ المأخوذين بصوت الراوي الذي يروي الثقافة والقصص على مدى تاريخنا الطويل، ومن هنا تكمن جماليات رواية قصة الشيخ زايد العربي، بصوت غير عربي، بما يوحي بدلالات رائعة في المثاقفة والممازجة بين الثقافات حول العالم، يكمل راوي الفيلم سرده ويؤكد أن الشيخ زايد رجل عربي صميم، وأنه ابن الصحراء بكل ما فيها من قسوة وعناد وجفاف، لكن هذه القسوة استطاع من خلالها الشيخ زايد تغيير صورتها الذهنية لدى الغرب! إنها ليست كما يرونها في أدبياتهم، بل هي مصدر من مصادر الخير والعيش والإلهام، إذا أحسن الإنسان التفكير والتخطيط والعمل مع أبناء بلده المخلصين.

يقول الراوي: «شيخ العرب، ولد في الجزيرة العربية، يعبد الله، ويحب الصحراء، من أغنى الرجال في العالم، رجال قبائل كثيرون يتبعونه في كل مكان، إنه مدرَّب، يحب الحياة البسيطة؛ الصيد التخييم، لم تتأثر أذواقه الأصيلة بما يتطور من حداثة الحياة، لديه عقل أكثر انفتاحاً على العالم وكريماً».

من خلال الجمل السابقة التي تصور شخصية الشيخ زايد وأصالته الدينية والعربية والقيادية، وحبه العميق للأرض والذوق العربي الصميم، وعقليته المنفتحة على العالم وكرمه اللامحدود، فإن تلك الجُمل تترابط مع العديد من اللقطات المصاحبة بكل ما يناسبها، فنحن أمام نصوص سمعية وبصرية في وقت واحد، وطريقة عرض وتصوير الفيلم كانت جميلة، وجمالها مستمد من جماليات الأمكنة التي كان يتنقل فيها الشيخ زايد في أماكن مختلفة في أبوظبي خصوصاً، هذه الأمكنة كانت هي المسرح الأجمل لحقبة تاريخية حفلت بالتأسيس والبدايات ليكون الشيخ زايد (بطل الفيلم الوثائقي) أشبه ما يكون بـ(البطل الشعبي)، الذي عرفه الشرق والغرب في الأدبيات التراثية، البطل الشعبي الذي لا تقهره الظروف أو العوائق، بل يسيطر عليها بكل ذكاء ودهاء، ومن يتأمل مشاهد الصحراء وقسوتها وظروفها القاسية لا شك في أنه سيتساءل: كيف استطاع هذا البطل التغلب على ظروف المشقة والفقر السائد اجتماعياً في تلك الأزمنة، ونهض ببلاده لتكون واحدة من أهم بلدان العالم، وليكون شعبها من أغنى الشعوب؛ ليس مادياً، بل في كل مستويات البناء والتعليم والاقتصاد والابتكار والإعلام والسياحة... وهذا ما كان يدهش الكثيرين من الرحالة والباحثين الغربيين عن شخصية شيوخ العرب وقوتهم وشجاعتهم وذكائهم، وكيف استطاعوا أن يتغلبوا على مصاعب كثيرة ربما هي من صميم الأماني والأحلام، لكنها تتحقق واقعياً بفضل خيرات الله تبارك وتعالى، ثم بفضل الفكر والتخطيط والإدارة الناجحة وحب الخير للناس.

ولربما يطرأ تساؤل لدينا: هل من الممكن أن ينقل الفيلم الوثائقي صورة البطل الشعبي؛ أو صورة شيخ العرب، بكل واقعيتها، دون أن تتدخل العدسة باستلهام جانب الخيال والفانتازيا؟ ودون أن تكون هناك صناعة خاصة لأماكن ومشاهد هي من صميم الأفلام الروائية وليست الوثائقية؟ وللإجابة: فإنه يختلف الفيلم الوثائقي التسجيلي عن الفيلم السينمائي الروائي، وذلك من اعتبارات وأشكال فنية عدة، ومن أهمها: السيناريو، فالسيناريو في الفيلم الروائي يكون مكتوباً ومتسلسلاً من البداية حتى النهاية، وعنصرا الخيال والتشويق يكونان حاضرين بشكل لافت في ذلك، بينما الفيلم الوثائقي (لا سيناريو مكتوب له)، حيث تتحرك كاميرات المصورين وراء الأحداث الواقعية، وتسجل كل ما له صلة بالموضوع، ثم يُفرز المخرج والمونتير مشاهد التصوير، ويعيدان ترتيبها بناءً على قصة تكون شائقة ومسلية ومترابطة إلى حد كبير. والفيلم الذي ظهر فيه شيخ العرب الشيخ زايد هو فيلم وثائقي تسجيلي بالدرجة الأولى، لكن جماليات الصحراء، وظروف الزمن في ذلك التاريخ جعلت من الفيلم الوثائقي كأنه مزيج ما بين الوثائقي والروائي، حيث كانت بيئة المكان (صحراء الإمارات) مُلهمةً ومعينة، ليكون الفيلم الوثائقي وكأنه فيلم روائي وهو ليس كذلك، فاللقطات بمقدار ما هي واقعية إلا أن طبيعة الأرض بمختلف

مظاهرها ساعدت على أن يكون الفيلم مجموعة من الجماليات، وكأنها مكتوبة في سيناريو مسبق، وإذا حاولنا تحليل العديد من مشاهد ولقطات الفيلم، فسنجد أن وصفنا للمَشاهد يكاد يكون كأنه سيناريو روائي وهو ليس كذلك، ومن هنا تكمن جماليات هذا الفيلم، ولنأخذ على سبيل المثال لقطات البداية والنهاية، وسأسردها بناءً على ما شاهدته، حتى نستطيع الإلمام بإبداعية وجمالية (السيناريو الذهني) في الفيلم الوثائقي.

بداية الفيلم:

لقطة (1) خارجي/ نهاراً.. طعوس رملية تمر عليها قافلة من الجِمال والرجال.. يمتزج صوت الريح الخافت مع صوت أهازيج العرضة الشعبية الإماراتية.

لقطة (2) خارجي/ نهاراً.. تنخفض قافلة الجِمال نزولاً من مرتفع الطعس.. تنقطع اللقطة لتدخل لقطة نزول سيارة طويلة تسير على طعس، وتنخفض نزولاً متحدية وعورة الرمال، وتخلفها وراءها وتشق طريقاً في الصحراء.

لقطة (3) داخل السيارة/ نهاراً.. لقطة داخلية تُظهر جانب الرجل الذي يقود السيارة وقد لف غترته حول وجهه وأحكم وضع العقال في دلالة للتحفز والتركيز لمتابعة الطريق الوعر. وفي خلفية المشهد مرتفعات ومنخفضات الطعوس الرملية الذهبية وعليها بعض النباتات البرية.. يقود الرجل سيارته وهو يردد أهزوجة شعرية شعبية من التراث.

لقطات (4) (5) خارجي/ نهاراً.. الرجل الذي يقود السيارة يتوغل في عمق الصحراء وخلفه العديد من السيارات تتبعه، هذا الرجل خبير بالصحراء ودروبها، يشقها بثقة وهو لا يزال يردد أهازيجه الشعرية الشعبية بصوت رجولي جميل.

اللقطات التالية (7) (8) خارجي/ نهاراً.. تظهر سباقاً للهجن يقوده متسابقون من الرجال بطريقة حماسية لاستقبال سيارة الرجل القادم للصحراء على أصوات طلق النيران دلالة على الترحيب والاحتفاء بالرمز الكبير، الذي وصل إلى مضارب الخيام المُعدة لاستقباله هو وضيوفه وحاشيته.

لقطة (9) خارجي / نهاراً.. الرجال يستقبلون الرمز الكبير بأهازيج العرضة الشعبية الإماراتية.

لو قرأنا السيناريو السابق، لربما قلنا إنه سيناريو مكتوب من أجل فيلم روائي لمغامرات بطل شعبي عربي، ولو شاهدناه في الفيلم لرأينا أن السيناريو هو حقيقة واقعية وليست مكتوبة، وأن البطل الذي يقود السيارة ويترنم بأهازيجه الشعبية الجميلة هو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، ولعل التحليل السيميولوجي للمَشاهد واللقطات يقودنا بلا أدنى شك إلى أن الشيخ زايد هو البطل، قاهر الصحراء، قاهر الفقر، ورجل البناء، وهو كاتب الرواية الجميلة (الإمارات العربية المتحدة) على أنغامه وأهازيجه الشعبية، وعاداته وأصالته وكرمه التي تظهر في الفيلم بطبيعتها دون تصنّع أو تكلف، لدرجة أن ارتباط الشيخ زايد مع رجاله وأصحابه في نصب الخيام، وصنع الطعام، وشرب القهوة، والصيد والمزح معهم، جعل راوي الفيلم يقول:

«الجميع على قدم المساواة، زايد لا يختلف عن غيره»، وهذه في الحقيقة هي دلالة على بطولة وإنسانية وتواضع الشيخ زايد، رحمه الله، الذي عُرفت عنه هذه الصفات طوال حياته.

بعد أن سرد الفيلم العديد من المشاهد واللقطات لأحداث مرتبطة بالشيخ زايد، كلقائه الوفود في مجلس الحكم، ولقائه الشعراء والضيوف في مجالسه وفي رحلاته البرية، ولقاءاته مهندسين غربيين يناقش معهم مخططات البنية التحتية التأسيسية للشوارع والموانئ والمدن، نجده في كل هذه اللقاءات يحاور ويناقش ويبدي رأيه، إما بالتأييد أو عدم الرضى. وربما كانت نظراته الحادة، أو ابتسامته الساحرة هي دلالات على مُحاوِر لا يُستهان به، فهو يعرف دقائق وتفاصيل كثيرة في الأحاديث والأخبار، وفي الشعر والمُسامرات، وفي المشاريع والتخطيط، وكل هذا يظهر في الفيلم كاشفاً شخصيته الشمولية الواسعة التي أهّلته ليكون قائداً كبيراً. كان صوته واضحاً في إحدى المناقشات، حيث اعترض على مخطط هندسي فقال: «أبد أنا موب راضي عن هذا!». وهذا دليل على فهم وعميق نظرةٍ لكل المشاريع التأسيسية التي أسسها، وهي لا تزال تواصل نجاحاتها في عهد أبنائه من بعده. أقول: بعد العديد من مشاهد العمل والتخطيط والبناء للدولة، ينتقل الفيلم للمشهد الأخير:

نهاية الفيلم:

الصحراء: نهاراً.. يجلس الشيخ زايد وحوله رجاله المخلصون.. متحلقين حول شجرة في الصحراء.. يتدلى من الشجرة سلاح (بندقية) يحتسون القهوة، وهم في غاية الرضا والأمن والمتعة بالنجاح.

لقطة زوم آوت، ثم صوت تلاوة قرآنية عن الصبر «قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً».. النهاية.

وسيميولوجيا المشهد الأخير تظهر دلالاتها الواقعية والرمزية في وقت واحد، فالشجرة هي رمز للوطن أو الدولة، وهي رمز الحياة والخلود، والالتفاف حولها هو التفاف حول الوحدة والترابط، والسلاح المُعلَّق على الشجرة هو رمز القوة والدفاع عن الوطن والإنسان، والدفاع عن الوجود البشري والوطني الذي حققه الإنسان، وشرب القهوة العربية هي رمزية المكافأة والوصول للمبتغى والنجاح، فيجلس البطل ورجاله يكافئون أنفسهم برشفات من مشروبهم العربي الأصيل القهوة، وهذه الرمزيات: الشجرة والصحراء والقهوة والوِحدة حول رجل واحد هي التي جعلت من وطن الإمارات العربية المتحدة دولة حداثية متطورة، قائمة على أصول عميقة في التاريخ والعروبة والإنسانية، وأن آيات الصبر التي جاءت في نهاية الفيلم وفي لقطات سابقة، هي دلالة على أن الصبر هو الوسيلة الأهم في تحقيق الأماني وبناء الدول والحضارات.

كما أن رمزية الجلوس حول الشجرة تحيلنا إلى بدايات تاريخ الإسلام العظيم ومبايعة الصحابة للرسول، صلى الله عليه وسلم، تحت الشجرة في بيعة الرضوان. وتحيلنا إلى عادات الشعوب القديمة في الجلوس حول الشجرة/ المركز، والشجرة رمز الحياة، ورمز الاجتماعات والاتفاقات بين الوفود والقيادات تحت راية رجل واحد. إنه فيلم مدهش مملوء بالعديد من التناص الديني والثقافي والتاريخي والشعبي.

* الجهات المشاركة في إنتاج فيلم (farewell arabia) هي:

the international television federation

australian broadcasting commission

canadian broadcasting corporation

noisivelet lanoitacude lanoitan

ديوان «زايد» يحتفي بمآثر الشيخ زايد

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد ـ الإمارات

صدر لصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، ديوان شعري بعنوان «زايد»، وذلك بمناسبة «عام زايد»، جمع فيه 87 قصيدة، كتبها الشيخ محمد بن راشد وهي عدد سني حياة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، وجاءت القصائد متنوعة الموضوعات والأغراض، فبعضها قصائد مدح، وهي تثبّت أروع ما قيل في مدحه، طيّب الله ثراه، حيث يقول في إحداها:

أكبر فخر للناس إنك من الناس وأكبر فخر للأرض ممشاك فيها
بي من غلاك احساس ما يحده قياس أغلى من الدنيا ومن هو عليها

وقريباً من قصائد المدح نجد تثبيتاً لقصائد المناسبات الوطنية كاليوم الوطني، ويوم الجلوس، للتأكيد على أن المناسبات المهمة كانت القصيدة حاضرة فيها ومن أعلى السمات والمستويات، كما في قصيدة «عهد زايد»:

وجه الزمان اللي تعودت اشوفه متبسمٍ والعيد كلّه أماني
عيد الجلوس اليوم هلّت طيوفه وعادت وفي يومه نزف التهاني

ولم تقتصر القصائد على المناسبات الوطنية، بل في كل الأعياد والمناسبات؛ لأن زايدَ كان مرحباً بالقصيدة، وراغباً في وجودها وحضورها الدائم، لذا كانت القصيدة تتصدر المجالس، فكيف إن كانت القصيدة في صدر مجلسه وعن يمينه، وهنا قصيدة بعنوان «أبو الأعياد» يهنئه فيها بقدوم العيد:

أهدي تهاني العيد ساعة يهل واحلى المشاعر والوصوف الجزالِ
للي لنا عيدٍ ونهرٍ وظل ما يزول ظلّه لو تزول الظلالِ

فحين يكون «زايد» النبض، يكون محمد بن راشد هذا الدم المتدفق في شرايين الشعر وأوردته، ويكفيك أن ترى كمّ القصائد التي كتبت في مدح زايد، وما زالت تكتب إلى اليوم بقلم محمد بن راشد في شتى المناسبات ليس لأنه يبحث عن مناسبة أو أن المناسبة تقتضي ذلك، بل لأن زايد قصيدة دائمة وهنا قصيدة «عام زايد» التي استهلها الشاعر بذكر زايد، وخصّص لها سبعة وثمانين بيتاً:

ذكرت زايد وابتدى الوقت يرجع وشافت عيوني بوجه زايد مناها
وجهه مشرّب بالشرف ما تقنّع عن حر كاشف صيدته ما خطاها
من غير مرسل أو سبوق مولّع بالعز والناموس نفسه هواها

فحين يُستذكر زايد يتمثل أمام الشيخ محمد بن راشد التاريخ كله، ويراه من خلال وجه زايد ليس بعينيه، وإنما من خلال عيني زايد، عين الصقر التي تعرف ماذا تبحث عنه، وكيف تصل إليه، وما تفعله إن مُنَّ عليها بالخير الوفير، وحين يُلهج باسم زايد فسرعان ما تسطع الشمس في منتصف الليل، أو منتصف الحلم ليستظل الشاعر في ظل اسم زايد، كما قال في مقدمة الكتاب:

استظل باسم زايد كل ليلة وكل ليلة في منامي له حضور
يا اسم زايد لو لزايد وسيلة لو دقيقة بس وحده في الشعور
ألمس يدينه وفي عيني أشيله هو أبويه وخالي وشيخ العصور

هكذا هو زايد له من العاشقين من يحلمون أن يلمسوا يديه، ومن يضعونه في عينيهم ومن يعرفون حق المعرفة أن 87 عاماً كان عمر زايد الذي مضى في نشر الحب في أرجاء الطبيعة، فأحبه الشجر والمدر والبشر، وحينما زرع في هذه الأرض زاد حبه وسطعت شمسه وأشرقت في حلم محمد بن راشد، ذلك الرجل الذي لا يحلم إلا الأحلام الكبيرة، لذلك يحلم بـ«زايد»؛ لأنه يرى فيه أشياء عظيمة، كما صرّح بذلك في قصائد كثيرة، ولكن في هذه القصيدة يؤكد أنه الأب والأخ والصديق والعضيد والناس والدنيا، وأيضاً العيون والشوف أي البصيرة، والعزم؛ لذلك لا يحلم بزايد كأي حلمٍ عابر، بل إنه يرى نفسه في زايد، ويرى زايد في نفسه، ويختصر كل ذلك في «زايد كل تكويني»:

وزايد وداده بنى في القلب بنياني وزايد قصيدي وأبياتي وتلحيني
وزايد أبويه الذي ما ارضى معه ثاني وزايد عيوني وشوفي لي يدليني
وزايد أخويه وصديقي وكل خلاني وزايد عضيدي وعزمي ومن يجديني
وزايد هو الناس والدنيا وما كاني وزايد وزايد وزايد كل تكويني

وعندما يكون القصائد ردوداً بين الشاعرين، نجد أنهما يلتقيان على قمة الشعر؛ لأن التفاعل يكون في أوج مستوياته المعنوية، وفي أعمق أغواره الشعورية، وفي أدفأ علاقاته الإنسانية، ويكفيك شهادة قصيدة «محمد ومحمد» التي يسرد الشيخ محمد بن راشد قصتها في هذا الديوان، حين لاحظ الشيخ زايد غيابه مع الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، فقال لهما ممازحاً:

اختفى محمد ورا محمد حد يحضر وحدٍ يغيبي
والسبب ما هو بمتعمد السبب حب الغراشيبي
كم بانخفي وبنيود من سببهم راسك يْشيبي

ليرد الشيخ محمد بن راشد بالأبيات التالية بعد تشاوره مع محمد بن زايد:

سيدي يشرح لك محمد عن أمورٍ عنك ما تغيبي
الخبر لي لافك وعوّد يا بعد شيباني وشيبي
لك تركنا الجو يتجدد حولك تحوم الرعابيبي
والحرار اللي تبا تصعد في القنص تقنص ولا تخيبي
قاصره عن صيدها تبعد عن عقابٍ له مخاليبي
وصيدة الشبل الذي مبرد تختلف عن صيدة الذيبي

ليقول الشيخ زايد معلقاً على ذلك «انته ومحمد ما دمتو على قلب واحد ما بتنغلبون»، وكأنه كان يستشرف المستقبل، أو كان يقول بلحاظ الغيب لوقتنا هذا أن يكون محمد مع محمد أخوة وعلى قلب واحد.

وجاء الديوان مملوءاً بالأغراض، وأنواع القصيد غير التي ذكرناها آنفاً، وأهمها قصيدة لم تنشر في الدواوين الشعرية للمغفور له الشيخ زايد، وهي قصيدة:

يا بويديل ضافي ومغطّي الردفين
عقب العرب لاشرافي أصبح طريجك شين

ليجاريها الشيخ محمد بن راشد بالقصيدة التالية:

عن كامل الأوصافي في الماضي م السنين
لي له خصور لُطافي وخد وحياي وعين

ولم تقتصر القصائد الثنائية على المجاراة، بل كانت المشاكاة حاضرة أيضاً ومتمثلة في رائعة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم:

تنام أهل القلوب المستريحة وأنا راحات قلبي في عذابي
أرظف ونتي من ضيج صيحه ومن همٍّ بقاص الجوف غابي
نصيحة والنبا منك نصيحه لكم يا بوخليفة منتدابي

ورد المغفور له الشيخ زايد، الذي يسدي فيه النصائح، ويفتح به أبواب الحكمة والمعرفة، وهي قصيدة غنية عن التعريف يقول في مطلعها:

ألا يا مرحبا حي بنفيحه نسيم الشرق لي ياب الجوابي
هلا باللي عرف قاصي النصيحة كريم الأصل واجدادٍ نجابي

وهناك موضوعات أخرى متنوعة في الديوان كقصائد الترحيب بالعودة وقصائد التهنئة بالشفاء، وقصائد الرثاء والذكرى وقصائد في الهجن والقنص، ليؤكد هذا الديوان بتنوعه أن المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، حمل على عاتقه مسؤولية حفظ تراث الشعر الشعبي في دولة الإمارات وشبه الجزيرة العربية، لتثبيت أركانه وتطويره لمواكبة ركب التقدم، وجعله شريكاً في مسيرة النمو والعطاء، وكان من أهم عوامل نجاحه في ذلك هو تركيزه على شخصية الشاعر وعلاقته الإنسانية بالآخر، سواء بالنص أو المجتمع أو الشعراء الآخرين، ولم يكن تأسيس وترسيخ المؤسسات والإعلام لخدمة الشعر والشعراء سوى مكمل للدور الحيوي الذي مثله الشعراء في هذا السياق، ويعد صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، حفظه الله، الداعم الأول لهذه الرؤية العميقة، والمحرك الحقيقي لهذه العملية، وأهمها على المستوى الجماهيري، ويعد العامل الرئيس لتحليق الشعر فوق الأجناس الأدبية، ووصوله إلى عامة الناس.

ولعل ما جمع في كتاب «زايد» من قصائد جمعت الشاعرين، بدءاً من البيت التالي الذي كتب مع عنوان الكتاب:

لم يكن زايد فينا واحداً
بل هو الأمة حين النوب

دلالة على هذا المفهوم الذي من الصعب إدراكه سوى من شخصيات قليلة استوعبت أن زايد لا يمثل نفسه، ويحتاج إلى آخرين ليحققوا معه أفكاره ورؤاه، ويمضوا معه في مختلف الطرق، وعلى كل الصعد، كي يكتمل المشهد، ويتكامل الهدف. وكان الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولا يزال الشخصية الشعرية التي مثلت هذا الدور، فصدح بالقصائد لتحقق التنمية الفكرية المستدامة من خلال الكلمة، لأنك تجده في جميع الأغراض النبيلة التي تحقق نمو الإنسان من الجانب الشعوري، كما في القصائد الوجدانية التي تحصنت بالحب العذري، والجانب الروحي، كما في القصائد الإيمانية التي أفعمت بالأجواء العرفانية والجانب المجتمعي، كما في القصائد الوطنية والمردات والجانب العلمي، كما في سلسلة قصائد ألغازه وغيرها الكثير من الأغراض الأخرى. وكل ذلك لأجل أن يكون الأقرب إلى قدوته في الحياة (زايد)، الذي لم يكن شخصاً

واحداً بالنسبة إليه، بل عطاء يتجدد ويفيض يوماً بعد يوم، لذا لم يكن الشيخ محمد بن راشد في شعره أيضاً شخصاً واحداً، بل كان قبيلة من الشعراء يحرك شعراء الساحة الشعرية بأكلمها قبل عصر الثورة المعلوماتية، كي يتفاعلوا معه ويردوا على ألغازه، وكان أيضاً قلب الشعراء يحرك مشاعرهم بوجدانيته، وكان قرب الشعراء يجاريهم ويشاكيهم، ويهتم بهم أشد الاهتمام والمتابعة.

ويجمع هذا الديوان قصائد كثيرة، كتبها الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم لزايد ومع زايد وعن زايد، فجمعت بين دفتي كتاب اسمه «زايد» ليقدمه لشعب زايد في مئوية ميلاده مختصراً الماضي والحاضر والمستقبل بين إيقاع القوافي ونغم الأوزان، لننهل منها ما يضيء دروب الحياة، ويرسخ قيم الولاء والوفاء، ويعز الوطن بالعمل والنماء.

الشاعرة عوشة بنت خليفة السويدي في ذمة الله

الشاعرة عوشة بنت خليفة السويدي، فارسة الشعر النبطي في الإمارات، وهي فتاة العرب، كما لقّبها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي.

شاعرة مفلقة وشخصية استثنائية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وذلك ما يتجلى بوضوح في تجربتها الشعرية المائزة، التي جمعت فيها بين بيئة الصحراء الشاسعة المترامية الأطراف، وما تحمله من مكنون ومخزون أدبي وتراثي وتقاليد عريقة، وبين بيئة البحر الممتد، وما يختزنه من عوالم وأسرار.

ولدت الشاعرة في مدينة أبوظبي سنة 1920، وهي تنحدر من أرومة كريمة وسلالة نبيلة، عرفت واشتهرت بالقيم الأصيلة والمنبت الطيب، وقد عاشت الشاعرة في كنف عائلتها وفي بيئتها ومحيطها، ومنها استلهمت صورها الشعرية وتراكيبها الإبداعية التي ميّزت شعرها، وأضفت عليه نكهة خاصة، وبصمة مميزة حتى طارت شهرتها وذاع صيتها لما تمتلك من رهافة الإحساس وصدق العاطفة واتقاد المشاعر وقوة العبارة ودقة الإشارة، واستطاعت أن تحفظ بشعرها تراث بلدها وقيم مجتمعها، بما ينطوي عليه من مفردات ومعانٍ ورموز ودلالات عميقة، وعبارات رشيقة وإيقاعات موسيقية رقيقة. وقد حظيت أشعار عوشة باهتمام كبير من لدن الشعراء والنقاد والمتهمين، وكانت موضع تقدير وإشادة بتجربتها الرائدة ولغتها الفذّة، وكان الفضل للشاعر والباحث خليفة حمد بوشهاب في جمع ونشر أشعار عوشة بنت خليفة السويدي عام 1991، ثم عنيت الدكتور رفيعة عبيد غباش، وعدد من الباحثين بهذه التجربة الشعرية الرائدة. وتأتي هذه السطور تأبيناً واحتفاء، في نفس الوقت، بتجربة الشاعرة الكبيرة عوشة بنت خليفة السويدي التي غيّبها الموت في الـ 27 يوليو 2018م في مدينة دبي، بعد مسيرة حافلة بالعطاء.

عبد العزيز المسلّم: خسارة فادحة

نعى معهد الشارقة للتراث رحيل الشاعرة عوشة بنت خليفة السويدي، وأعلن في بيان خاص: أن رحيل «فتاة العرب» خسارة كبيرة للأدب الشعبي والشعر النبطي، فقد كانت الراحلة قامة شعرية كبيرة وعنواناً عريضاً في ميدان الشعر الشعبي، ومنبعاً للمفردات الإماراتية الأصيلة، ومدرسة متفردة للشعر الإماراتي، ومثلت تجربتها مرحلة انتقالية مهمة في مسيرة الشعر النبطي في الدولة، وكانت امتداداً لمرحلة تجديدية مهمة بدأها الشاعر راشد الخضر.

وعبّر الدكتور عبد العزيز المسلّم، رئيس المعهد، عن أسفه وحزنه لرحيل الشاعرة، وقال إن أجيالاً من الشعراء الإماراتيين والخليجيين، تربّوا على كلمات الشاعرة عوشة وعذوبة معانيها وجزالة سبكها. وشكل رحيلها خسارة فادحة للثقافة والتراث والإبداع.وتابع: إن الإمارات موطن رئيسي للشعر الشعبي، وليس أدل على ذلك من عدد المرات التي كرّمت فيها الشاعرة، والتي كان آخرها تكريمها من قبل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، في مهرجان الشارقة للشعر الشعبي.

يذكر أن الراحلة قد اعتزلت الشعر في أواخر التسعينيات وبقيت تروي أشعارها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

دراسة

عوشة بنت خليفة في محضر الشاعر الأول

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد ــ الإمارات

حد مثلي بات مشجنه
عوشة بنت خليفة السويدي «فتاة العرب»

حد مثلي بات مشـجنّه حلم طـيفٍ مـرّ خطّافِ
واغتنم من وجدي الونّه يوم كلٍّ بالكـرى غـافي
جرح في جاشي مخفنّه والخوافي ضربهن خافي
لي محـبٍّ مني ومنّه حب مثل الجوهر الصافي
لـيت باينقـل لي المـنّه كان قدره عـنديه وافي
والوفـا من فني وفـنّه بينا ما يمـشي خلافِ
حيث لانه في العرب سنّه خص عند الناس الاشرافِ
يـا نديمي وصـلكم جنّه والبخت لي هوب مسعافِ
حـاليه يا زين مدعـنّه من ودادك مَ انقل لْحافي
لا تخيب فيك من ظنّه خير وانتو حق وانصافِ
انت فـرضي لي مـصلنّه وانت وردي وانت اتـلافي
يعل يود السحب لمدنّه لي بـرقـها بات رفـافِ
والـرعود مسويه حـنّه هل واسقى ذيك الاطرافِ
ليـن ينبت وين واطـنّه بالزهـور مْعزل الجـافي
بـوخـدودٍ فوعتـه سمنّه يسفرن من شيل لارهافِ
كـان جـتلي مستحلنّه لو على جتلي انا شـافي

يا ركن عود الهوى وفنّه
الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

يا ركن عود الهُوى وفَنـَّه شـاقني جيـلك بالاوصـافِ
طيف رويا لـي مِشَـــقِّنَّه شَـطّ بِك والحَقْـك لاتلافِ
يَعْـل ودِّك مِنّك ومِنَّــه بـالتِّجـاوِب بـينِكُـم وافي
ما ينال الحاسِد وظَـنَّــه واشـيٍ يسـعى بِالخـلافِ
كيف حـيلَة لـي مِوزِّنَّه ودٍّ كـامِن عِـندَه وخافي
طال صَبـرَه وتَمّ في هَنَّـه في خِيـالَه وكيف بَيوافي
عـود مـوزٍ رابِي بْجنَّـه بـازِغٍ زاخِـر وغِـريـافِ
غِصْـن والخـالِق مِـسوِّنَّـه خالِقِنَّه بْحُسْـن لاوصافِ
جيد والـمِنحَر مِحَـلِّنَّه لي نِهودَه فـاعَـــن وْقافِ
الـذِوايِب سُـمْر يَضْفِنَّه مْعَـــثكِلاتٍ فـوق لاردافِ
كَمّ صَبري يـا الغِضي عَنَّه يـا نِـديمي نَسْل الاشرافِ
يَعْـل لـي بَه وِدٍّ مِقصِّنَّه يِهتِـني بِـالـوَصْـل ويْوافي
فَرحِـتَه بِـلي مِـلاقِـنَّـه تِنقَـسِم ما بين لـولافِ

هناك أسماء نسائية معدودة في تاريخ الشعر الشعبي في الإمارات، بدءاً من ابنة الماجدي بن ظاهر، وقصيدتها اليتيمة، وبرزت من بين هذه الأسماء الشاعرة عوشة بنت خليفة، التي لقبها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم

بـ«فتـاة العـرب»، بعدمـا كانـت توقـع باسـمها المسـتعار «فتـاة الخليـج»، وسـنتناول قصيـدة لهـا، وهـي القصيـدة المشـهورة جـداً، وقـد كتـب الشـيخ زايـد مجـاراة لهـا، أمـا قبـل ذلـك، فـأود أن أشـير إلى أن ظاهـرة وجـود شـاعرة في المجتمـع المحافـظ وصعوبـة بروزهـا، وكيـف كانـت تعـد أحـد أهـم التحديـات الكبـيرة التـي واجهتهـا وتواجههـا المـرأة؛ لأن قـرض الشـعر في متنـاول الجميـع، أمـا مكانـة الشـاعر فإنهـا مكانـة محفوظـة في المجتمـع؛ لأنـه يتبـوأ مكانـة الحكيـم الناصـح والقنـاة الإعلاميـة المعـبرة عـن صـوت القبيلـة. فالرجـل في عـصر مـا قبـل البـترول كان يحمـل المسـؤوليات المجتمعيـة، والمـرأة تسـاعده في شـؤون المنـزل، بالإضافـة إلى مسـاندته في بعـض الشـؤون الاقتصاديـة، ولكنهـا لم تكـن تمثّـل صـوت عائلتهـا أو صوتهـا الشـخصي؛ لأن المجتمـع المحافـظ يضـع ذلـك ضمـن مسـؤوليات الرجـل، فهـو المتحـدث عـن نفسـه وعـن عائلتـه وعـن زوجتـه وأختـه وبناتـه؛ لـذا فـإن الصـوت الشـعري للمـرأة لم يكـن ليصـدح في آذان المجتمـع بسـهولة صـوت الرجـل.

وعـلى هـذا الأسـاس، فـإن المـرأة التـي كانـت تحظـى بمسـتمعين لشـعرها، وكانـت تفـرض عـلى المجتمـع جزالـة شـعرها، ويؤكـد الشـعراء الرجـال عـلى ذلـك بمجـاراة قصائدهـا أو الـرد عليهـا، ولذلـك نجـد اسـتخدام صيغـة المذكـر في الخطـاب، أحـد أهـم ملامـح الشـعر الشـعبي التقليـدي في الإمـارات، ولم يسـتطع الرجـل أن يتجـاوز بسـهولة مخاطبـة المـرأة في شـعره لتكـون بصيغـة المؤنـث، فـماذا سـيكون الحـال مـع المـرأة نفسـها حينـما تكـون شـاعرة، (والمفارقـة أن المـرأة تفقـد تـاء تأنيـث الشـاعرة لتصبـح «فلانـة الشـاعر» كـ«عوشـة الشـاعر»)، وهـي دلالـة عـلى أن الخطابـة نـثراً أو شـعراً تحتـاج إلى حنجـرة الرجـال القويـة، بعكـس أنوثـة المـرأة بحيائهـا وبخدرهـا المقـدّس، نجدهـا تميـل إلى الهـدوء والسـكينة والصـوت المنخفـض، وقـد يكـون ذلـك مـن أصعـب المهـام التـي واجهـت وتواجـه المـرأة في خطابهـا الشـعري؛ لـذا كانـت مقارعـة الرجـال في البـدء الوسـيلة المثـلى لإثبـات وجـود فـن وفكـر نسـائي يسـتطيع فـرض وجـوده في المجتمـع.

في هـذه القصيـدة لفتـاة العـرب، لا نجـد مـا يشـير إلى جنـس الشـاعر، ولا أقـول إنهـا تسـتخدم صيغـة الرجـل، كونهـا اسـتخدمت صيغـة المتكلـم، وهـذه الصيغـة بيضـاء تعـبّر عـن المذكـر والمؤنـث، وكذلـك الشـعر التقليـدي لـه صيغـة بيضـاء، وهـي صيغـة المذكـر، ولكـن لا يعنـي ذلـك بـأن الشـعر التقليـدي شـعر رجـولي، وإنمـا قلـة الأصـوات النسـائية هـي التـي ربطـت الصيغـة البيضـاء بالرجـال، بدليـل أن الرجـل في الشـعر الشـعبي يتذلـل ويسـتعطف المحبـوب، ومـن الأولى عـدم فعـل ذلـك، إن كان الشـعر يعـبّر عـن الرجولـة والقوامـة، ولا يرتـضي بالخضـوع والتذلـل.

حد مثلي بات مشـجنّه حلم طـيفٍ مـرّ خـطّافِ
واغتنـم من وجـدي الونّـه يـوم كلٍّ بـالكرى غـافي
جـرح في جـاشـي مخفنّه والخـوافي ضـربـهـن خافي

تنتهـج «فتـاة العـرب» في هـذه القصيـدة المدرسـة الشـعورية/ الرومانسـية مـن خـلال تعبـير خـاص وداخـلي عـمَّا تعـاني مـن سـهاد وأرق عنـد مـرور حلـم أو طيـف المحبـوب. وهـذا مـا جعلهـا تغتنـم الفرصـة لكتابـة القصيـدة بتحويـل الأنـين والآلام إلى كلـمات وأبيـات. ويُعـدّ هـذا الاسـتهلال نوعـاً مبتكـراً، عـلى الرغـم مـن أن الشـعراء في المدرسـة التقليديـة كانـوا ينتهجونـه في البـدء بذكـر الأشـجان، وكأن الشـاعرة ضربـت عصفوريـن بحجـرٍ واحـد حينـما طـوّرت في الاسـتهلال التقليـدي؛ لتقدمـه بأسـلوب المدرسـة الرومانسـية.

لـي محـبٍّ منـي ومنّـه حب مثل الجوهر الصافي
لـيت باينقـل لـي المـنّه كـان قدره عـنديـه وافي
والوفـا من فني وفـنّه بينا ما يمـشـي خـلافِ
حيث لانـه في العـرب سنّه خص عند النـاس الاشـرافِ

في هـذه الأبيـات تكشـف «فتـاة العـرب» عـن المحـب الـذي تسـبب في هـذه الأزمـة، ولا تلتـف إليـه بصيغـة الخطـاب، كـما سـتفعل في الأبيـات التـي تـلي، ولكنهـا تهيـئ لمخاطبتـه بعـد الأبيـات السـبعة الأولى؛ إذ إنهـا في الأبيـات الثلاثـة تتسـاءل عمـن هـو أسـوأ حـالاً مـن حالهـا، وفي الأبيـات الأربعـة بعدئـذ تمتـدح المحبّ إلى أن تصـل إلى الأبيـات التاليـة التـي تلتفـت مـن صيغـة المتكلّـم إلى صيغـة المخاطـب، والالتفـات مـن صيغـة إلى أخـرى، هنـا، كان مـع تغيـير عـدد المسـتمعين حيـث إنهـا في صيغـة المتكلـم عـبّرت للجمـع، وفي الصيغـة التاليـة تخاطـب المفـرد:

حيث لانـه في العرب سنّه خص عند الناس الاشـرافِ
يا نديمي وصـلكم جنّـه والبخت لي هوب مسعافِ
حـاليه يا زيـن مـدعنّـه من ودادك مَ انقل لْحـافي
لا تخيـب فيـك من ظنّـه خير وانتـو حق وانصافِ
انت فـرضـي لي مـصلنّـه وانت وردي وانت اتـلافي

وعـلى الرغـم مـن أنهـا تخاطـب المفـرد، إلاَّ أن هنـاك إشـارات إلى الجمـع في «وصلكـم»، وفي «أنتـو»، ولكـن دلالـة عـلى الاحـترام والتقديـر، وهنـاك إشـارات أخـرى كثـيرة إلى المفـرد بـدءاً مـن «يـا نديمـي» إلى «يـا زيـن»، و«ودادك»، و«فيـك»، و«أنـت». وهـذا مـا يكشـف لنـا عـن أول سر مـن أسـرار القصيـدة، وهـو صراع في داخـل الشـاعرة لتقديـر منزلـة المحـب الـذي اختلـف معهـا، عـلى الرغـم مـن أنهـا حاولـت إخفـاء ذلـك، وأشـارت إلى أنهـا في وفـاق تـام مـع المحـب في عبـارات مثـل: «لي محـبٍّ منـي ومنـه... حـب مثـل الجوهـر الصـافي»، و«الوفـا مـن فنـي وفنـه... بينـا مـا يمـشي خـلافي»، لكنهـا عللـت هـذا الإخفـاء بحجـة العـادات والتقاليـد في «حيـث لانـه في العـرب سـنه... خـص عنـد النـاس الاشرافِ» التـي تمنعهـا مـن التجريـح، بـل بالعكـس نجدهـا بعـد المـدح تسـتمر بالدعـاء والابتهـال بأسـلوب المدرسـة التقليديـة:

يعل يود السحب لمدنّه لي بـرقـهـا بات رفـافِ
والرعود مسـويه حـنّـه هل واسـقى ذيـك الاطـرافِ
ليـن ينبت وين واطـنّـه بالزهـور مْعزل الجـافي

هنـا تسـتعرض الشـاعرة مقدرتهـا الشـعرية وأسـلوبها الفنـي، حيـث تجـد آلاف الشـعراء الذيـن ابتهلـوا لديـار المحبـوب بالغيـث والمطـر بأسـاليب وعبـارات وصيـغ مختلفـة، ويسـتطيع الجميـع التـذوق والمقارنـة بينهـا لا شـعورياً، لتلاحـظ البصمـة الجديـدة التـي تضعهـا «فتـاة العـرب» مـن خـلال جمـال الصياغـة، واختيـار المفـردات، وهـو مـا عـرف عنهـا.

بوخدودٍ فوعتـه سـمنّـه يسـفرن من شـيل لارهافِ
كـان جتـلي مستحلنّـه لـو على جتـلي انـا شـافي

وأمـا البيتـان الأخـيران في القصيـدة، فإنهـما يضفيـان عـلى معنـى القصيـدة غموضـاً كبـيراً، بعدمـا كانـت المعـاني تنكشـف للمتلقـين، والسـبب هـو أن الشـاعرة تدعـو لأجـل أن يحظـى المحـب بلقـاء مـن تلمـع خـدوده مـن وراء الشـيلة الرهيفـة التـي تضعهـا المـرأة عـلى وجههـا، وهـذا الوصـف يبعـد احتـمال كـون القصيـدة قيلـت في نصفهـا الآخـر، ويفتـح بـاب التأويـلات أمامنـا لاكتشـاف «المحـب» الـذي قـد يكـون مـن أقاربهـا، وقـد أثـر كونـه بعيـداً عـلى الشـاعرة، وسـبب لهـا الأرق وأنشـدت القصيـدة محاولـة الخـروج مـن هـذا الموقـف؛ لكـون أغلـب القصائـد الشـعورية وليـدة موقـفٍ مهـم يهيّـض النفـس الشـاعرة، ويجعلهـا تشـارك الآخـر الهمـوم والمعانـاة.

وأثـارت هـذه القصيـدة - حينـما تغنّـت بهـا حناجـر المطربـين - جمهـوراً واسـعاً. وهنـا مجـاراة للمغفـور لـه الشـيخ زايـد بـن سـلطان آل نهيـان للقصيـدة:

يا ركِـن عـود الهُـوى وفَنّه شـاقِني جيلك بالاوصافِ

قـد يكـون الشـطر الأول مـن مطلـع هـذه القصيـدة مـن أجمـل العبـارات الشـعرية، وذلـك لازدواجيـة المعنـى، أو لتـوازي الدلالـة مـع المعنـى الرئيـس عـلى مسـتوى المفـردات والسـياق، فـ«ركـن» و«عـود» و«فـن»، هـي أجـزاء غصـن الشـجرة، وأوردهـا الشـاعر كصـورة كليّـة واصفـاً تناسـق المعـاني في قصيـدة فتـاة العـرب، ومن

ناحية أخرى، فإن المفردات تشكل بدلالاتها الأخرى معنى آخر، وهو أن شعر فتاة العرب المملوء بالأوصاف، كما جاء في الشطر الثاني يعد «ركن» حجر الزاوية و«عود» أي عمود و«فن» أي الفن الشعر الغزلي ــ الهوى بمعنى الغزل ــ وهذا المعنى الموازي الذي جاء من دلالات المفردات لها عمق آخر من المعنى الظاهري، وقد يصل ذهن المتلقي إلى الدلالة الأعمق قبل المعنى الظاهري؛ لأن المفردات الواردة تستخدم عادة في المعنى الثاني. ومن النادر جداً أن ينتقل المتلقي من الدلالة العميقة إلى المعنى الظاهري، وهذا ما يفسر جمال هذا الشطر الشعري، وفي البيت الثاني ينتقل الشيخ زايد، يرحمه الله، إلى تكرار معنى من معاني القصيدة الأصلية بدءاً من تأرق منام الشاعرة؛ ليربط القصيدتين برباطٍ قوي:

طيف رويا لي مِشَــقِّنَّه شَطّ بِك والحَقْك لاتلافِ

نجد عبارة «طيف رؤيا» في البيت الثاني لقصيدة الشيخ زايد تتحدث عن «حلم طيف» في البيت الأول لقصيدة الشاعرة فتاة العرب، وهذا من أهم الأدلة التي تؤكد مجاراة الشيخ زايد، يرحمه الله، لهذه القصيدة، وفي الأبيات التالية نجد الشيخ زايد يهيئ المعنى قبل أن يتناول لب الموضوع من خلال تحليل المشكلة الرئيسة التي قد تكون بسبب الحاسد:

يَعْل ودِّك مِنِّك ومِنَّه بالتِّجاوِب بينِكُم وافي
ما ينال الحاسِد وظَنَّه واشي يِسعى بِالخلافِ
كيف حيلَة لي مِوزِّنَّه ودٍّ كامِن عِندَه وخافي
طال صَبرَه وتَمّ في هَنَّه في خِيالَه وكيف بَيوافي

هنا يؤكد الشيخ زايد أن هناك تجاوباً بين الطرفين يربط بينهما حبل الوفاء، ولن يستطيع أي طرف ثالث أن يسعى إلى إنشاء خلاف أو تأجيجه بين الاثنين، ذلك أن العلاقة الوطيدة التي تربطهم أقوى من أي تدخل وتأثير خارجي، ولكن المشكلة تكمن في المحبة المترسخة في القلوب، والتي تبحث عن الاستقرار، وعبر عنه الشيخ زايد بـ«ود» وهذا الود في أعمال القلب؛ لأنه «كامن» و«خافي» بينما «موزّنه»، أي أن سبب الأذى سطحي وغير مهم، وهذا رد صريح على المعنى الذي عبرت الشاعرة عنه سابقاً:

جرح في جاشي مخفنّه والخوافي ضربهن خافي

فالشاعرة ترى أن الجرح هو الذي تسبب في كل هذه المحنة، بينما يرى الشيخ زايد أن ليس للجرح أثر لولا عمق المودة الموجودة داخل القلب. وكما أشرنا، فإن المودة هي الأساس والأصل، وليس الجرح إلاّ أثر رسم سطحي يجب أن نتجاوز أثره لأجل بقاء الجمال في الحياة. ومن هنا، نجد الشيخ زايد يسهب في محورٍ كامل واصفاً المحبوب بأجمال الأوصاف وأروعها:

عود موزٍ رابِي بْجنَّه بازِغ زاخِر و غِريافِ
غِصْن والخالِق مِسوِّنَّه خالِقِنَّه بْحُسْن لاوصافِ
جيد والمِنحَر مِحَلِّنَّه لي نِهودَه فاعَن وْقافِ
الذِوايِب سُمْر يَضْفِنَّه مْعَثكِلاتٍ فوق لاردافِ

ولهذا الجمال الحقيقي الموهوب من الخالق، كما أشار في معنى البيت «غصن والخالق مسوّنه...»، تكون التضحيات؛ لأن الجمال في البقاء على المودة، وتغذية روح الشباب من خلال الإحساس والتفاعل الإيجابي، ومن خلال التحمل والصبر لبلوغ هذه الغايات النبيلة:

كَمّ صَبري يا الغِضي عَنَّه يا نِديمي نَسْل الاشرافِ

والجميل أن الأوصاف التي ذكرها الشيخ زايد جعلها في قمة الدقة والجمال، ونسبها إلى محبوبٍ خاصٍ به ليفتح مقارنة مع أوصاف المحبوب في القصيدة الأولى، وهو بذلك يريد القول: إنه يشكو من طول صبره لوصال هذا المحبوب الافتراضي «كم صبري يا الغضي عنه...»، ولا يضع نهاية لهذا الصبر، وبدلاً من أن يدعو لنفسه أو للشاعرة، فإنه يضرب أروع أمثلة الإيثار بالدعاء لكل من يعاني من ذلك، ويقول:

يَعْل لي بَه وِدٍّ مِقصِّنَّه يِهتِني بِالوَصْل ويْوافي
فَرحِتَه بِلِلي مِلاقِنَّه تِنقَسِم ما بين لولافِ

وهنا المعنى الكبير والأعمق؛ أي معنى الشعور بآلام الآخرين، ومحاولة رفعها أو على الأقل الإحساس بها، والعدالة في توزيع الفرحة بين المحبين كما أشار في البيت الأخير، ولاشك في أنه يقصد أن يحظى جميع البشر بالأمان في ظل المودة والمحبة والعطاء المتبادل.

ولم تتقلد الشاعرة عوشة بنت خليفة هذا الوسام الشعري الرفيع من الشيخ زايد دون أن تبادر بالرد بقصيدة جواب تشكره فيها، وتعبر عن امتنانها لهذا التقدير، فقالت في قصيدة قلما أشار إلى موضوعها الباحثون:

يا رباحة من حسن ظنه فيك ياللي منكم اشتافِ
مِ النَصف والضف والمنّه والعفو يا ذخري الضافي
جيد والمعنى محللنه بلسمه لي روحي يشافي
مثل ريح المسك والخنّه لولو بالشهد لي صافي

تستهل عوشة قصيدتها وهي تعلم أن حسن الاستهلال تعبير عن مقدرة الشاعر وجمال القصيدة، ولكن ليس المقام

محدود بهذا المقال، فالإجابة على قصيدة الشيخ زايد التي قلما تجد في روعة استهلالها قصيدة تكون المهمة أصعب بكثير. ويصعب الأمر هنا أكثر أيضاً، إذ إن الشيخ زايد بنفسه يمدح شعر عوشة بنت خليفة، لذا نجد الشاعرة في ردها ممتنة ومادحة، وتشير إلى إحساسها بالتقدير الذي لم تشعر به قط. فبعد أن بدأت القصيدة برجوع الأمل، حيث أشارت إلى ربح كل من يصل الشيخ زايد، حيث تلبى حاجته لأنه يعرف كيف ينصف صاحب الحق، ويضفي على الطالب بأكثر مما يطلب، ويمتن له كل محتاج ويعفو عن المخطئ، بالإضافة إلى كونه سنداً وذخراً لكل من ليس له شكوى من شيء، وهذه المعاني اختصرتها الشاعرة في بيت واحد لتمثل به شخصية واحدة من الصعب اختصار وصفها، لكنها برعت في حشدها في البيت الثاني؛ لتنتقل إلى وصف قصيدة الشيخ زايد مشبهة إياها بالفتاة جميلة المنظر في «جيد ولولو» وطيبة الرائحة في «ريح المسك والخنه» تعبيراً عن جمال المعنى وطيب المشاعر في قصيدة الشيخ زايد، وهي تحاول، كما سنلاحظ لاحقاً، محاكاة وصف الشيخ زايد حين وصف شعرها بالمعاني نفسها في مطلع قصيدته «يا ركن عود ألهوى وفنه».

ونجد الشاعرة عوشة بنت خليفة في هذه القصيدة قمة في التفاؤل، بعدما كانت تشكو الأرق وتبدو متشائمة في مطلع قصيدتها الأولى، وهذا بالضبط ما أراده الشيخ زايد وحققه في مجاراته، حين كرمها بإعطائها مقاماً شعرياً سامياً. وأهمية هذا التكريم يكمن في صدوره من شخصية غير عادية مثل الشيخ زايد، فهو شاعر وناقد ومؤسس للساحة الشعرية في الإمارات، ورأيه في المسائل الشعرية قاطع ومقنع للجميع، وهذا ما نلاحظه في الأبيات الآتية من جواب الشاعرة:

بش له قلبي ملبنّه بالفرح ترحيبه ارضافِ
عدّ ما ياب الهوى بنّه من غروس العين زفزافِ
وين فوع الفل وسمنّه في العواضد وقت لجزافِ

في هذه الأبيات تعبر الشاعرة عن عمق فرحتها بتقدير الشيخ زايد، وتصور فرحة تلقيها القصيدة باستقبال الرياح الشرقية الطيبة من مرتع صباها المعروف بالواحات الخضراء، وهي دلالة على سقوط الهموم عن كاهلها، كما هي مشاعر الطفولة الخالية من الهموم، وهي قبل ذلك دلالة على استعادة الذكريات البريئة التي تشرح الصدر، وتبهج الخاطر وهي أيضاً راحة الروح بين الأشجار والأزهار، وكل ذلك تصوير لفرحتها بمجاراة الشيخ زايد.

يا نديمي منك راضنّه انتخابك لي ليه كافي
الهوى حمّلتني سنّه وانت رأس الفن يا سنافي
تاخذه والحق معطنه يوم غيرك معطي الجافي
برفعه والنفس مطمنّه لا تضيع حقوق لاشرافِ
ذاك له العرف والسنّه والشرف والسمت والوافي

هنا تتقلد الشاعرة وسام الإبداع، وهو وسام تفتخر به الشاعرة لسبب واحد، هو أن من انتخبها لهذه المنزلة شخصية يفتخر بها القاصي والداني؛ لذا لم يكن في المقام مجال للتواضع والتعذر، ولكنها مسكت زمام المقال وعبرت بأنها أمام الشاعر الأول، وقمة الشعر، وهذا المعنى نجده في «الهوى حملتني سنه ونت راس الفن يا سنافي»، رداً على مطلع قصيدة الشيخ زايد «يا ركن عود الهوى وفنه»، وبهذا الطريقة تواضعت الشاعرة وهي تقف في مقام المدح والتكريم مراعاة لأدب الخطاب في حضرة الأب الروحي للشعر والشعراء:

شط بي همٍّ مجاسنّه من وزاك وودّك الخافي
لي على قلبك مولّنّه وانت لي في الأمر مسعافِ

وفي هذه الأبيات تبرع الشاعرة في استخدام صيغة الخطاب بدلاً من صيغة المتكلم، باعتبار أنها تقصد نفسها في «وزاك وودك»، ولكنها بهذا تستخدم الصيغة احتراماً لمقام المخاطب، وينذر أن تجد هذه الصيغة تستخدم لغرض الاحترام، ويحسب للشاعرة أنها استخدمت الصيغة لرفع الحرج عنها أيضاً، كونها تشكو مشاعر خاصة بها، والأولى عدم الإفصاح بها في المجتمع المحافظ، وهذا يؤكد دقة وبراعة الشاعرة في صياغة جملتها الشعرية:

جل لي بالحسن منشنّه في الكواعب ما لها اوصافِ
الغوى والزين حاونّه للآرام وغصن غريافِ
لي على المطلب مسونّه يحفظه من شر لاصدافِ
منك عوق الجرح مدمنّه لا ولا للغير تشتافِ
لا خلت منكم ولا منه بوظبي والعين مصيافِ
في رتوعٍ روضها جنّه من عميم الشوف لو لافي

وفي المقطع الأخير تسهب الشاعرة في وصف محبوب افتراضي للشاعر، وهي عادة شعرية درج عليها الشعراء الأقدمون لتزيين قصائدهم، ولكن الشاعرة تستخدم ذلك للدعاء والأمنيات، كي تعم السعادة على الشيخ زايد، يرحمه الله، كما أضفى عليها السعادة من خلال مجاراته لها والمعاني السامية التي احتوتها، والتي لم يحصل عليها شاعر آخر سواها.

تجليات التراث اليمني في الفن

د. ماجدة الشيباني
أستاذ مساعد بجامعة الحديدة ـ اليمن

لقد خلق الله، عزّ وجلّ، الإنسان مبصراً، ليرى ويتأمل نعم الله، فنعمة البصر من أعظم النعم التي منحها الله للإنسان، وكلما كبر واتسعت أفكاره ومداركه، يصبح استيعابه وفهمه لكثير من الأشياء أكثر وأعمق.

فالبصر إذن، هو الطريق الذي يصل بين الإنسان والبيئة المحيطة به، فهذا الكون الفسيح الذي نحيا فيه مملوء بالمشاهد الفاتنة والمناظرالخلابة، بما تتضمنه من فنون تراثية ينبغي لنا أن نتأملها كلياً وجزئياً بوعي وإدراك، وأن نتذوقها ونتذكر من أجوائها ومعالمها قدرة الله الخالق العظيم، الذي أبدعها على هذا النسق الفريد، وما بثه

فيها من الجمال الفائق، الذي تهتز له النفس والعين، وتوفر لهما المتعة والانشراح.

والفنان عندما يتأثر بالتراث القومي، فهو يتأثر بالبيئة، وذلك لأن التراث من مقومات البيئة، ويعد الانتماء للتراث من الضروريات لتواصل التطور الفني وإثراء العملية الإبداعية، وذلك من خلال استلهام الفنانين المعاصرين له، والكشف عما يحويه من قيم جمالية وأساليب وقوانين ونظم، وذلك في ضوء مجريات العصر وتطوره.

وإذا تحدثنا عن اليمن وفنونه الشعبية، يتبادر إلى الأذهان الإنسان اليمني الخلاق، الذي صنع هذه الحضارة، وفاض حباً وإبداعاً، ساعد على أن تسمى بلده باليمن السعيد، هذا الشعب الذي قلّده رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وساماً أبدياً حين قال: «أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية». فقد اتسم التراث الشعبي اليمني بالقدم، وقد بقي رمزاً متواصلاً للتطور الاجتماعي، فالفنان اليمني القديم صانع المعجزات، فهو مولع بالبحث والكشف عن كل ما يقع حوله وما يراه من مكونات البيئة اليمنية وعناصرها.

وقد ترجم أحاسيسه النابعة من معالم هذه البيئة وطبيعتها، ولكنه لم يكن في هذه الترجمة ناقلاً مقلداً ما يراه، ولكنه كان يمثل الطبيعة، ويضيف إليها حسّه المرهف ومشاعره الفياضة وفكره المبدع الخاص.

فلا تكاد تخلو منطقة باليمن لا يتوافر فيها التعبير عن الجمال، سواء في البيئة أو في الإنسان نفسه، من خلال ملابسه التقليدية، كما يختلف التعبير عن هذا الجمال من منطقة لأخرى، وكأن الجميع في مختلف المناطق يتنافس ويتسابق لابتكار أساليب تتفق عن أساليب المناطق المجاورة لتتميز عنها، وذلك سواء كان بالعمارة أو الأزياء أو حليهم الشعبية.

وبهذه البيئات الجمالية، ينشأ الأطفال، ويتكوّن في مخزونهم البصري كيفية التعبير عن الجمال، ومن ثم يصبح من الطبيعي تقليدهم تلك العادات، ومحاولة لفت الأنظار إليهم بابتكار أسلوباً جديداً مختلف عن الأساليب المعتادة، وبذلك يخلق الفنان اليمني منذ الطفولة مبدعاً محباً للجمال.

وتمثل العمارة اليمنية تمثيلاً رائعاً للتعامل الإنساني المتفاعل مع البيئة، كما تمثل نموذجاً متميزاً لعمارة فريدة من نوعها في العالم، والتي تمثل لغة معمارية تعبر عن القيم والأصول النابعة من البيئة والتراث الحضاري والثقافة الخاصة بالمجتمع اليمني، فتتميز المباني في اليمن بطابعها المعماري الفريد الذي يمثل طرازاً معمارياً كاملاً، وهذه العمارة لها مميزاتها الخاصة، فهي إحدى الصياغات المحلية للعمارة الإسلامية.

فالعمارة في اليمن ليست مجرد طراز أو زخارف شتى أو معمارية ثابتة، ولكنها تشمل في حياتها ثوابت أغلبها نابع من العقيدة الإسلامية ومتغيرات تظهر في الشكل الخارجي والداخلي لمنشأ.

ويمكننا القول إن العمارة هي متحف حي نتعايش معه ونتفاعل مع رموزه وأشكاله وكتله، وهذا ما تجسده البيئة العمرانية اليمنية التي تزخر بالنقوش والزخارف، التي تبدأ من الواجهات المعمارية.. إلى الخناجر والأساور.. مشكلاً لوحة رائعة، يختلط فيها الفن المعماري بالأزياء الشعبية في إبداع متكامل.

فلقد ظلت النقوش اليمنية محفورة في أعماق اليمني، يسقطها أحياناً على واجهة منزل ودائماً في ثيابه وكل أدوات زينته.

فرغم التأثيرات الخارجية إلا أن الفنان الشعبي اليمني أثبت في معظم أعماله أن تراث أمته ما زال في ذاكرته، يرويه ويحكي تفاصيله من خلال الرسم على الجدران أو الفخار أو النسيج أو العمارة.

فما لا شك فيه، أن المحافظة على التراث الشعبي هي محاولة للمحافظة على بناء الأجداد والآباء، ليكون بمثابة الدعم الأساسي لما يبني عليه الأبناء، وبذلك يسير البناء الفعال للمجتمع من جيل إلى آخر، كما أنه وسيلة لإنعاش المجتمعات فكرياً وثقافياً وفنياً.

ومما سبق نستخلص أن الفنون الشعبية هي اللغة التي تفهمها وتتأثر بها كل الشعوب، ولها الدور الأساسي في بناء

حضارة المجتمعات الإنسانية، كما أنها تعبر عن طابعها القومي الأصيل، حيث إنها تشكل طريقاً لحضارة الإنسان عبر العصور، ومهما تعددت الفنون الشعبية وتنوعت مظاهرها ومجالاتها المختلفة، فهي مصدر مهم ومتسع يشبع إلهام الفنانين، كما أنها ترضي ذوق من يشاهدها بوعي ورؤية متفتحة، كذلك فهي من المجالات المهمة التي يمكن الاعتماد عليها في تربية النشء من الوجهة الفنية والجمالية.

إذن.. فالفن الشعبي ليس مجرد بقايا ورواسب ثقافية، وإنما يعتبر حكمة.. نعم حكمة من حكم التاريخ، وثمرة لحياة الإنسان كمجتمع ورمز لأصالة هذه الحياة.

فإن أردنا أن نوقظ أمة من الأمم، فيجب إحياء تراث فنونها الشعبية أولاً، فالفن الشعبي لسان الأمة الصادق المعبر عن حاضرها وماضيها:

«فمن ليس له ماضٍ لا حاضر له؛ ومن ليس له حاضر لا مستقبل له».

فرحة عيد

خالد أحمد الشحي*

هلَّ علينا عيد الأضحى المبارك، واستبشرت جموع الأطفال بجمع العيديات، وهي عادة أصيلة قديمة ومتجذرة في شعب الإمارات. وكلمة عيدية مشتقة من العيد، وتعني أن يوزع البالغون وأصحاب الأُسر والبيوت مبالغ نقدية أو عينية على الأطفال الذين يأتون مع أهاليهم للمعايدة في العيد، سواء عيد الفطر أو عيد الأضحى المبارك.

والعيد في خورفكان كان معقل التراث في المنطقة الشرقية، حيث كان بهيجاً جميلاً، وله طقوس معينة تبدأ من اللحظة الأولى التي يُعلن من خلالها عن رؤية الهلال، حيث يتسابق الجميع لتجهيز أغراض العيد والصلاة في المصلى الرملي، ومن ثم معايدة الأهل بالزيارات المتتالية، وجمع عدد من العيديات من أجل صرفها في ألعاب (الغوبانة) المشهورة، وهي منطقة البهجة للأطفال في (شرق خورفكان القديمة).

وتتنوع الألعاب التي تحتوي عليها منطقة الغوبانة من بين (الدورفانات)،

و(المراجيح) وغيرها من الألعاب الشعبية، وشراب الفيمتو في أجواء طفولية مرحة في ذلك الوقت.

كان للعيد في تلك الأيام بهجة خاصة، حيث كانت الأجواء بسيطة، لكن للعيد بهجته الخاصة أيضاً في هذه الأيام؛ لأن العيد فرحة لكل الأجيال، وكم هو جميل أن تتسلم وأنت طفل عيديتك وتفرح بها، ثم تدور الأيام لتأتي أنت وتُسلم الطفل عيديته، ليتحقق الفرح مجدداً، فالعيد فرحة وأجمل فرحة للجميع.

وكل عام وأنتم بخير..

---

* مدير مكتب معهد الشارقة للتراث بالإنابة/ فرع خورفكان

«تازوطا»
المعمار والتراث الإنساني

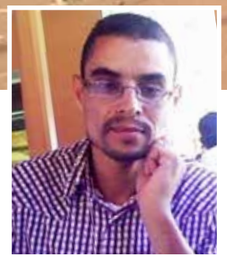

عزيز العرباوي
كاتب وباحث ـ المغرب

تعتبر «تازوطا» الشكل المعماري الشعبي الذي ينتشر بمناطق مختلفة من المغرب، وبالخصوص بمنطقة دكالة التي تقع بالقرب من مدينة الدار البيضاء جنوباً، وهي الآن تقتسم معها جهة ترابية واحدة، وتعتبر من أغنى الجهات الإثنتي عشرة المكونة للمغرب، حيث تتميز بشكلها المعماري الخاص، وبأسلوب بنائها العجيب الذي يستطيع- على بساطته- أن يساهم في حماية ساكنيه من الأمطار والبرد وأشياء أخرى. إنها تمثل ذلك الشكل الأسطواني المبني بواسطة الحجارة بطريقة تقنية ومثيرة وقادرة على حماية الناس. يشعر المتتبع وهو يشاهد ويعاين التنسيق المعماري والهندسي لهذه البنايات أنه أمام عمل عظيم، وإبداع عمراني منقطع النظير. حيث الأناقة والثقة في النفس والقدرة على الإبداع، وهذا لم يكن صدفة أو مجازفة من البنائين، بل هو تفكير متمعن في الأمر وتشكيل فني ومعماري متقن. ولعل شل الفرن التقليدي لطبخ الخبز بالقرى المغربية أكبر مثال أيضاً على هذه الإبداعية المعمارية، حيث يستطيع هذا الفرن المشكل والمبني بالطين المصفوف دون الحجارة أن يمنع تسرب مياه الأمطار

أو مرور نسمات البرد إلى داخله، مما يساهم في نضج الخبز في أي وقت من أوقات السنة...

ويرى الصحفي المغربي عبد الله غيتومي أن «تازوطا» تمثل تلك البنايات الأسطوانية الشكل التي ينفرد به إقليم الجديدة. هياكلها تقوم على حجارة مصفوفة بدقة وعناية متناهيتين. جدرانها مغلفة، من الداخل، بالطين المخلوط بالتبن والقصب؛ فيما يشبه «التابيا» التي كانت مسخرة في القرن 12 الميلادي وبعده لبناء عدد من الأسوار التاريخية

وإذا كانت الروايات متعددة حول أصل تسمية «تازوطا»، فإنها تكاد تجمع على أنها كلمة بربرية تعني «القصعة الكبيرة»، وهي شبيهة ب»التوفري»، بما تعنيه الكلمة من عمق في الثقافة البدوية الأصيلة. وكانت بنايات «تازوطا» منتشرة بشكل كبير في دكالة العميقة ذات الطبيعة الحجرية، وبمرور الأيام زحف البناء الإسمنتي فتراجعت إلى أن كادت تختفي وتندثر. ويعود بعث هذا النمط العمراني ذي الشكل الأسطواني من جديد، إلى محمد حكار وبالضبط بمنطقة الشعيبات، التي تبعد ب 35 كيلومترا عن مدينة الجديدة في الطريق إلى مركز أولاد افرج، في إطار استراحة تازوطا التي تؤسس اليوم لسياحة إيكولوجية تنمو وتزدهر في صمت. وهي سياحة تقوم على كل ما هو طبيعي، إذ تتكون وجبة الفطور من «البركوكش»؛ وهو عبارة عن سميد مفتول على

أيدي نساء

بدويات ومطبوخ في كمية من الحليب البلدي تزيد عن 20 لتراً، وممزوج بكمية من الزبدة البلدية الممخوضة لتوها، وتتأثث مائدة الفطور بالملوي والبطبوط والمسمن وهي فطائر بالخميرة البلدية تمت عملية طهيها على «الفراح»،

المصنوع من طرف نساء ماهرات من سكان جماعة الشعيبات. وفي «تازوطا» عندما يقرر الإنسان العشاء والمبيت، سيدرك لا محالة أن شكلها الأسطواني يمنحها مكيفات طبيعية تجعلها باردة في الصيف ودافئة في الشتاء. وبجوارها حمام طبيعي يسخن بالعود المحلي ومكون من قبتين يطلق على الواحدة المتروسة، وهي عبارة عن نوع من «الصونا» ولكن بشكل تقليدي. حتى جو التنشيط لا يخرج عن الطابع التقليدي، فتازوطا ليست بحاجة إلى أجواق عصرية، ولكن إلى نساء يجتمعن في فرقة موسيقية متجانسة يعرفن في المنطقة باسم «اللعابات» وسيلتهن في ملء المكان طرباً هو كلام نساء مصحوب بإيقاعات بدوية على «تعاريج» و«بنادير». ولعل استراحات «تازوطا»، حسب متخصصين في العلاج النفسي، تشكل المكان المناسب للهروب من تعقيدات المدينة وصخبها، بل وكذلك شحنة أساسية للعلاج من الاكتئاب والضغط النفسي.

وفي الإطار نفسه يتحدث غيتومي عن أن فرع اتحاد كتاب المغرب بمدينة الجديدة نظم ندوة في وقت سابق نشطها الكاتب والناقد الحبيب الدايم ربي، وأثار من خلالها المخاوف على إمكانية اندثار «تازوطا» كإرث ثقافي ثمين، إلا أن المخاوف تقلصت لما تمت المصادقة على مشروع إقليمي كبير لتهيئة بلاد بولعوان، وضمنها جميع الجماعات التي بها بنايات «تازوطا»، وإلحاح السلطات المحلية بإقليم الجديدة على أن يدخل مجال تازوطا ضمن المسار السياحي المحلي والإقليمي والجهوي وحتى الوطني، باعتباره مسألة هامة في المنتوج السياحي للجديدة المعتمد على البحر والغابة والسياحة الريفية الخضراء.

يأخذ هذا النوع من المعمار الشعبي شكلاً هندسياً مثيراً يشبه الأهرام المصرية، حيث إنه لا يحتاج لا إلى رمال أو إسمنت مسلح، يحتوي على باب صغير جداً لا يسمح إلا بدخول فرد واحد، كما يحتوي أيضاً على فوهة صغيرة من أعلى البناء تحقق غاية الساكن الهوائية وتجديد الهواء داخله، ويمكن لهذا البناء المعماري الفريد من نوعه أن يستوعب أكثر من 25 يمكنهم أن يتحركوا فيه بحرية تامة ويقوموا بما يحلو لهم من أعمال اجتماعية تحقق لهم الحياة العادية.

ويعتبر هذا البناء المعماري من أهم المآثر التاريخية والثقافية الشعبية المنتشرة بالمغرب، حيث تمثل الثقافة غير المادية لأصحابها، وبالتالي تحقق لهم الاختلاف عن الآخرين. فهو في حاجة إلى إعادة النظر والاكتشاف والبحث في أصله وتاريخه وجذوره الأولى وسبب بنائه واتخاذه مسكناً ومأوى.

لقد كانت «تازوطا» ومازالت تمثل الشكل المعماري والثقافي الذي لجأت إليه الساكنة بالمنطقة من أجل تحقيق نوع من التساكن والاندماج الإنساني فيما بينها، بشكل مختلف عن باقي الأشكال الأخرى التي يعرفها سكان المغرب في باقي المناطق الجغرافية المنتشرة به. هذه الثقافة الشعبية المرتبطة بالإبداع المعماري المتشكل من الطين والحجارة كشكل من التعبير عن الحياة وأشكالها المختلفة وعن طرق التعاطي معها تشكّل بالنسبة لهذه الساكنة نوعاً من الوعي بأهمية هذه المكونات الطبيعية المجسدة للأصل البشري وطينيته الخالصة.

1 - عبد الله غيتومي، «تازوطا... سياحة إيكولوجية تزدهر في ريف الجديدة»، جريدة الصباح المغربية، عدد بتاريخ: 28 سبتمبر 2018، رابط المقال على الإنترنيت: http://assabah.ma/42554.html.

2 - «يمكن تصور هذا الشكل الذي يختلف اختلافاً بيناً عن باقي الأشكال السكنية المنتشرة بالمنطقة، حيث إنه يساهم مساهمة فعالة في تحقيق نوع من الأمان النفسي والاجتماعي والاقتصادي للساكنة.

3 - المرجع السابق نفسه.

تراث السلف في عيون الشيخ زايد

«إن الإلمام بالتراث ينير الأفكار وينير طريق الحياة»
الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ـ رحمه الله

خديجة حلفاوي
كاتبة وباحثة - المغرب

ملخص:
أولى المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، أهمية خاصة لقضايا التراث الإماراتي والعربي، بوصفه مدخلاً حقيقياً لتنمية أواصر الترابط الاجتماعي والهوياتي للمجتمع، وخدمة رهان الاتحاد بأبعادها القُطْرية والقومية. يمثل التراث في نظر زيد صوت الماضي في إنسان الحاضر، وصلة الوصل الدائمة بين الأجداد والأحفاد، وأساس استشراف مستقبل يأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات التراثية والدينية والتاريخية للأمة، دون التفريط في الإمكانات التقنية والعلمية والثقافية التي توفرها «سيرورة الحداثة الكونية». بهذا المعنى، يكون صون التراث من احترام سنن السلف الصالح، وبناء الدولة والأمة على أساس ثابت ومتين، وجعل التاريخ مستمراً في الحاضر ومستشرفاً للمستقبل.

يشكل ماضي كل دولة أو أمة خزانها الثقافي، القيمي، الأخلاقي والديني، الذي يقود مسار تقدمها وتطورها ومعينها التاريخي في تجاوز الشدائد والصعاب، ومجابهة تحديات العولمة التي تدفع شيئاً فشيئاً نحو تنميط مدخلات ومخرجات الثقافة العالمية. يساعد هذا الماضي الأفراد، القبائل والمجموعات الاجتماعية المختلفة على التضامن والتآزر تحت مظلة واحدة؛ حتى في أوقات التباعد والانقسام، ذات أساس ديني وثقافي ينتصر لمصلحة الجماعة على حساب المصالح والحسابات الشخصية أو الخارجية الضيقة. يكون الماضي بهذا المعنى ضرورة لا غنى عنها لعيش الحاضر، ورسم خطوط المستقبل.
كان السلف على بينة بدور الثقافة والتراث في الحفاظ على ثبات واستقرار الأمة، وضمان استمرارها حاضراً ومستقبلاً. وعليه، شجعوا نظم الشعر الشعبي، وثمنوا الرياضات التراثية (الهجن، سباق الخيول، رياضات الصقور...)، ودعموا الاحتفالات والمناسبات الثقافية والتراثية، كما عملوا على جعل «التربية بالتراث» (بيداغوجيا) أسرية لتشجيع الأبناء على احترام الأصول، ونقل ثقافة تقدير الماضي، والاستفادة منه في الحياة الواقعية بالنسبة للأجيال اللاحقة. «ليس هناك حاضر ولا مستقبل لأمة لا تقدر ماضيها»، كما كان الشيخ زايد، رحمه الله، يذكرنا دوماً.
نظراً لهذه الأهمية الكبرى للتراث، ضمن المكون الهوياتي لدولة الإمارات العربية المتحدة، وعموم الدول العربية، جعل الشيخ زايد، رحمه الله، مشروعه السياسي، الاقتصادي والوحدوي قائماً على صيانة التراث وتحقيق قفزة نحو المستقبل (التقدم الذي تعيشه دولة الإمارات اليوم)، من خلال احترام شرط الماضي والتاريخ والأخلاقيات الدينية والتربوية، والانفتاح على التجارب الدولية الرائدة في الميادين كافة (التكامل بين التراث الوطني، العربي والدولي).
«إن دولة الإمارات العربية المتحدة استطاعت وسط أجواء دولية وإقليمية عاصفة الأنواء أن تفرض احترامها ومكانها بين دول العالم»، من خلال استثمارها في تراثها المحلي والتاريخي، ودمجه ضمن مقومات المشروع الحضاري للأمة؛ فالمقررات والكتب المدرسية لمراحل التعليم الأولى والثانوي تتضمن قيماً دينية وتراثية، وعبراً وحكماً للسلف، وتعتمد أحدث المناهج التربوية العالمية لمخاطبة أطفال وشباب اليوم. تحترم هذه المقررات شرط الانفتاح والتعايش مع «الآخر»، وقبول اختلافه بوصفه غنى للتجربة الاجتماعية والثقافية الإماراتية، وتجعل من التراث سلاحاً فعالاً لضمان تشبث الأجيال الجديدة بالأصالة الثقافية المحلية، وحرصاً على حسن سباحتهم في

تيارات وأنهار الحداثة، دون فقدان الهوية والتيهان في «غربة» المعنى، التي تنتج عن التنكر للأمة والسلف.

في عصر هيمنة التكنولوجيات الحديثة على الحياة الإنسانية، تحتاج الأجيال الجديدة إلى قدوة ورمز للأمة، يقودهم ويوجههم نحو المستقبل. مثّل الشيخ زايد الرمز الإماراتي الخالد الذي استطاع تحقيق حلم الوحدة، ودمج التراث والماضي الحضاري للأمة لمواجهة تحديات الألفية الجديدة، ونجح في جعل دولة الإمارات واحدة من «الظواهر» و«النماذج» التنموية العالمية الجديدة، التي تعيش بالتراث، ويعيش التراث معها لحظاتها التاريخية الفريدة.

اتخذت إسهامات الشيخ زايد في صون تراث الأجداد والحفاظ عليه أشكالاً مختلفة ومتنوعة، أولاً، من الناحية السياسية، جعل، رحمه الله، من الشأن الثقافي، التعليم وحماية التراث همّ الأمة والسياسات الاستراتيجية للبلد على مدى عقود. ثانياً، على المستوى المادي والاقتصادي، دعم الشيخ زايد هيئات المجتمع المدني، الأندية الثقافية، ومختلف الشركاء في الشأن التراثي داخل الإمارات، وفي جميع ربوع الوطن العربي، منقذاً العديد من الرموز التراثية (الإبل، الهجن، الصقور...) من خطر التهميش. ثالثاً، على المستوى الثقافي والفني، شكلت المهرجانات الاحتفائية، القرى التراثية ونوادي التراث (نادي تراث الإمارات منذ سنة 1993)، خير دليل على أهمية التراث في الرؤية الاستراتيجية لدولة الإمارات، كما خطط لها الشيخ زايد. رابعاً، على المستوى الرياضي، أضحت «الرياضات التراثية» مكوناً أساساً من مكونات الهوية الإماراتية، بحيث تمت إقامة سباقات الهجن، والخيول، والصقور... وفق مواصفات عالمية وأكثر تقدماً، مع مراعاة الخصوصيات التراثية

لهذه الرياضية، دون نسيان الدعم والمردود المادي الذي أصبح يحصل عليه رعاة ومربو ومحتضنو هذه الرياضات بالمجتمع الإماراتي. جعلت هذه السياسة التراثية الخلاقة للشيخ زايد المواطن الإماراتي أكثر حرصاً على تراثه وخصوصياته المحلية بوصفها جزء من هويته.

«لابد من الحفاظ على تراثنا القديم؛ لأنه الأصل والجذور، وعلينا أن نتمسك بأصولنا وجذورنا العميقة». بهذه الكلمات يلخص الشيخ زايد، رحمه الله، موقفه الملتزم بتقدير واحترام السلف، التراث والتاريخ العربي والإسلامي الأصيل، وتبنيه في الحياة اليومية للأفراد والمجتمعات. إن العودة إلى الأصل من الأصل كما يقال، لكن استلهام مقولات وأفكار السلف، والتماهي مع أعمالهم وإنجازاتهم، هو ما جعل من شخصية زايد محبوبة من طرف مختلف مكونات المجتمع الإماراتي. لقد كان، رحمه الله، القدوة الحسنة للأجداد (صانع الوحدة)، والآباء (باني المجتمع)، والأبناء (صانع الحداثة والتقدم)، بفضل استثماره في الإنسان كثروة كونية، ودعمه للنجاح والبحث عن التفوق، اقتداء بسنن السلف الصالح. لم يكن الشيخ زايد معارضاً للحداثة كنقيض للتراث، أو متشبثاً بالتراث في حد ذاته؛ أي أنه رفض فكرة التعصب للتراث أو للحداثة بشكل محض، وكل ما كان يطمح إليه هو أن يرى الإنسان العربي مواكباً للتقدم والتطور العلمي والتقني في الميادين والمستويات كافة، ومتشبثاً بهويته العربية والإسلامية الأصيلة، لأن ما يصنع الإنسان ويحدد قيمته هو تاريخه وتراثه، وليس تماهيه أو تشبهه بالآخر. ظلت المجتمعات العربية طوال القرن الماضي تبحث عن سر النهضة والإقلاع الحضاري، وأضحت طائفة تقرن النهضة بالاقتداء بالسلف

الصالـح، وأخـرى بالقطيعـة أو الانفتـاح عـلى الغـرب. بالنسـبة لزايـد، كانـت معادلـة النهضـة بسـيطة في حـد ذاتهـا: «العلـم والتاريـخ يسـيران جنبـاً إلى جنـب، فبالعلـم يسـتطيع الإنسـان أن يسـطر تاريخـه ويدونـه ويحفظـه للأجيـال ليطلعـوا عليـه، ويعرفـوا مـا قـام بـه الأجـداد والآبـاء».

أفـرد الشـيخ زايـد كذلـك أهميـة كـبرى للتاريـخ، سـواء مـن حيـث الرهـان عـلى تدريسـه وتلقـين مبادئـه للجيـل الجديـد، أو دعـم البحـوث والدراسـات التاريخيـة التـي تتخـذ مـن الـتراث الإماراتي والعـربي موضوعـاً لهـا؛ الأمـر الـذي جعلـه شـخصية معروفـة ومحبوبـة بـين الجماعـات العلميـة التاريخيـة العربيـة. يتكامـل التاريـخ مـع العلـم في رؤيـة زايـد للمسـتقبل، بحيـث يعـد العلـم فرصـة لفهـم الـتراث والمـاضي، واسـتخلاص عـبره وحكمـه، مـن أجـل خـط ملامـح مسـتقبل أقـل مـا يقـال عنـه أنـه معتمـد في جوهـره عـلى مبـادئ المـاضي والحـاضر؛ لذلـك، يعتـبر العديـد مـن المفكريـن (العـرب والغربيـين) أن سر نهضـة الإمـارات العربيـة خـلال العقـود الثلاثـة الأخـيرة، راجـع إلى دمجهـا مقومـات الحضـارة العربيـة في مشروعهـا النهضـوي المسـتقبلي، وتبصرهـا للموقـع الـذي سـيحتله الـتراث بالنسـبة للأجيـال المسـتقبلية؛ تعـد المصالحـة بـين المـاضي والحـاضر إحـدى مرتكـزات «علـم المسـتقبليات»، الـذي كان المفكـر المهـدي المنجـرة من أبـرز رواده. ولا يخفـى عـلى أحـد أن الطبيعـة الصحراويـة للمجتمـع الإماراتي جعلتـه لصيقـاً، عـلى الـدوام، بتراثـه الشـعبي الـذي زاده غنـى وتفـرداً بـين مجتمعـات الخليـج العـربي؛ لذلـك، يعـد هـذا المـوروث الثقـافي المتنـوع والمختلـف جـسر وصـل مسـتمر بـين الأجـداد والأحفـاد، كلـما دعـت الـضرورة إلى ذلـك. «لقـد تـرك لنـا الأسـلاف مـن أجدادنـا الكثـير مـن الـتراث الشـعبي، الـذي يحـق لنـا أن نفخـر بـه، ونحافـظ عليـه ونطـوره؛ ليبقـى ذخـراً لهـذا الوطـن وللأجيـال القادمـة»، وندافـع عنـه وننـشره بـين بقيـة الشـعوب، كي يكـون معينـاً لهـم أيضـاً في تحقيـق سـبل النهضـة الحضاريـة (سـواء العربيـة أو الأجنبيـة)، واسـتثمار العولمـة في سـبيل تحقيـق هـذا الرهـان الإنسـاني الطمـوح.

تسـتكمل اليـوم دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة مـشروع الشـيخ زايـد، رحمـه اللـه، مـن خـلال تعزيـز أواصر التعـاون بـين المفكريـن، الكتّـاب والمشـتغلين بالـتراث الإماراتي والعـربي، وجعـل سـؤال الـتراث رهانـاً سياسـياً لقيـادة المرحلـة القادمـة مـن تاريـخ الأمـة. إن الإسـهامات العلميـة الجليلـة التـي يقدمهـا «نـادي تـراث الإمـارات»، و«معهـد الشـارقة للـتراث»، و«مركـز سـلطان بـن زايـد للثقافـة والإعـلام». لا تجعـل مـن قضايـا الـتراث قضايا مجتمـع وأمة فحسـب، ولكـن تجعـل صـوت وحلـم زايـد خالـداً في النفـوس.

رواة وباحثون من الإمارات

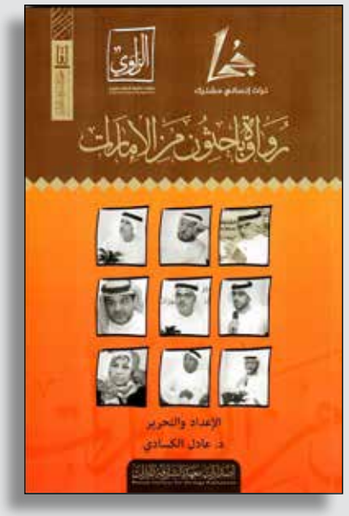

يتنـاول الكتـاب موضـوع النـدوة العلميـة التـي عقـدت عـلى هامـش الـدورة الـ«16» لملتقـى الشـارقة الـدولي للـراوي، التـي سـلطت الضـوء عـلى عـدد مـن الـرواة والكتّـاب، الذيـن أثـروا سـاحة الـتراث الثقـافي الإماراتي، برواياتهـم ومدوناتهـم وإسـهاماتهم البحثيـة، وتركـوا إرثـاً معرفيـاً مهـماً يـضيء دروب الحيـاة الثقافيـة في الإمـارات، وهـي إسـهامات رائـدة لنفـر مـن المتخصصـين في مجـال الـتراث الثقـافي، تناولـت جوانـب مهمـة مـن جوانـب رحلـة التدويـن والتوثيـق الـتراثي منـذ تأسـيس دولـة الإمـارات.

يشـتمل هـذا الكتـاب عـلى 10 بحـوث وأوراق عمـل، عرضـت مسـيرة التدويـن والتوثيـق لكتابـات الـرواد الأوائـل مـن الـرواة والكتّـاب والباحثـين.

دراسات في التراث الشعبي الإماراتي

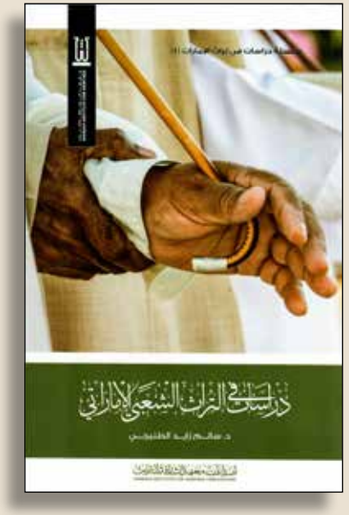

تتألـف الدراسـة مـن ثلاثـة محـاور، يتنـاول الأول ملامـح مـن سـيرة الشـاعر هـلال بـن خليفـة السـالفة الطنيجـي (شـاعر الراعبـي)، ويبحـث الثـاني رمزيـة العصـا في المـوروث الشـعبي الإمـاراتي، بينـما يوثّـق المحـور الثالـث تاريـخ «الأمثـال الشـعبية في السـوافي والسـيوح لأهـل الباديـة في المنطقـة الوسـطى في دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة».

وتتبـع قيمـة هـذه الدراسـة فيـما تختزنـه مـن معلومـات شـافية ووافيـة، عـن موضوعـات تتّسـم بالجِـدة والأصالـة، وتنـأى عـن الاجـترار والتكـرار، وتقـدّم إضافـة نوعيـة في حقلهـا، كونهـا تعـرض كـمّاً هائـلاً مـن المعلومـات الغنيـة والمهمـة.

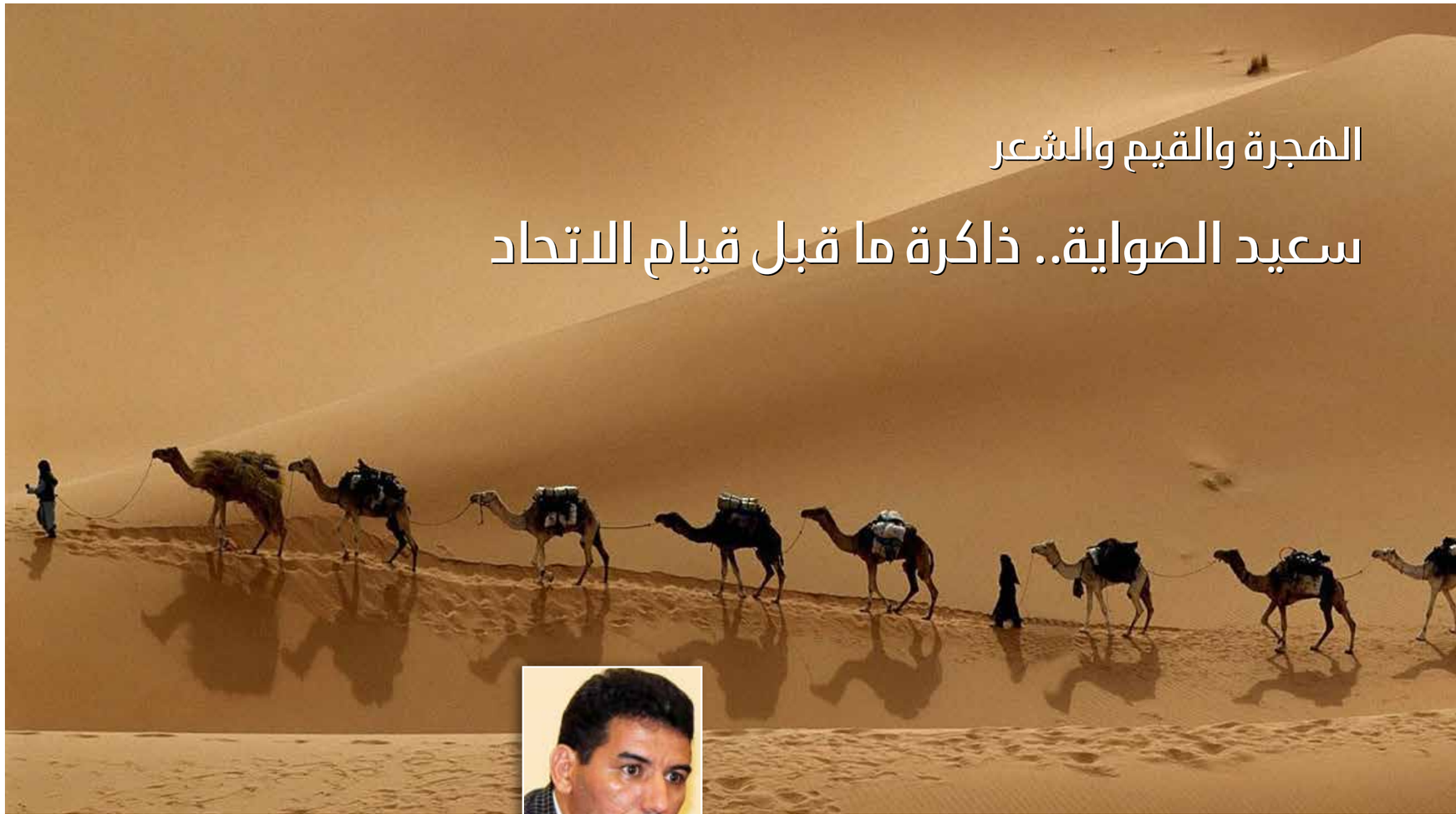

الهجرة والقيم والشعر

سعيد الصواية.. ذاكرة ما قبل قيام الاتحاد

محمد محمد سالم
كاتب صحفي ـ موريتانيا

ترك الراوي المرحوم سعيد بن جمعة الصواية كنزاً ثميناً من المرويات والأشعار، وقدم تفاصيل مهمة عن حياة المجتمع في منتصف القرن الماضي، حيث وعى (وهو المولود في عام 1929 في الذيد، والمتوفى في عام 1994)، تفاصيل حياة المجتمع في تلك الفترة، وأساليبه في تحصيل الرزق، وكيفية بناء العلاقات بين الناس، وما كان يسود من قيم إنسانية في تلك الفترة، فشكلت مروياته وثيقة تاريخية مهمة للباحثين في مجال التراث، وتستفيد الأجيال القادمة منها في سعيها للحفاظ على الهوية، والارتباط بقيم الأصالة العربية، وقد ونتيجة تلك الشهادة التاريخية المهمة التي قدمها، تم تكريمه في مهرجان يوم الراوي سنة 2006.

الأحاديث التي أدلى بها الصواية عن الحياة في تلك الحقبة تلفت الانتباه إلى رحلة الاغتراب التي كان يقوم بها معظم أبناء المنطقة، بحثاً عن فرص للعمل، لم تكن حياة مجتمعهم في ذلك الوقت توفرها لهم، فيروي حكايات الغربة، وما كان يتسم به أمثاله من شباب الإمارات النازحين إلى البلاد المجاورة من إصرار واجتهاد في العمل، وصبر على الظروف الصعبة من أجل التي يمرّون بها، والتي تقوي عزائمهم، ولم تكن أيامهم خارج وطنهم تخلو من طرائف أدبية، وسجالات مع شعراء وأدباء من البلدان التي يستقرون بها، وكانت الكويت والسعودية اللتان

سبقتا إلى استغلال ثروتهما من النفط، هما أهم منطقتي جذب للشبان الباحثين عن العمل في ذلك الوقت، وقد رحل الصواية مع من رحلوا من أبناء الإمارات إلى هاتين الدولتين، وخاض التجربة في وقت مبكر من حياته، فبعد أن مر بالكتّاب، وتعلم الكتابة والقراءة، وقرأ القرآن عند المطوع في منطقة الحيرة بالشارقة، حزم أمتعته ورحل.

كانت الدمام عاصمة المنطقة الشرقية في السعودية أولى محطاته، وكانت إحدى أهم مدن المملكة والخليج في ذلك الوقت، فقد بدأ استغلال النفط فيها في أواخر العشرينيات من القرن الماضي، وأصبحت بسرعة أهم المدن الصناعية، ومنطقة جذب لليد العاملة من جميع أنحاء الخليج، وهناك عمل الصواية لفترة قصيرة انتقل بعدها إلى الكويت، وكانت بدورها قد بدأت حركة التطوير بفعل عائدات استغلال النفط، وشهدت في تلك الفترة حركة تجارية وعمرانية كبيرة، وقد عمق ذلك التنقل تجاربه في الحياة، وزوّده بحكمة ونظرة ثاقبة للأمور، لكنّ الحنين إلى الوطن الذي ظل يسيطر عليه غلبه في النهاية، ودفعه إلى العودة عام 1961 ليستقر بشكل نهائي في الشارقة.

كان مما دفع بسعيد الصواية إلى العودة مبكراً، أنه شاعر مبدع لا يجد نفسه وراحته إلا بين أهله وجمهوره الذي يحب شعره ويتفاعل معه، فكان بحاجة إلى هذه العودة، لكي يظل يصدح بفرح وطمأنينة، وقد ضمن بشاعريته مكانة مهمة بين شعراء جيله، خصوصاً من خلال البرامج

سعيد بن جمعة الصواية

والأمسيات التي كانت تقام لهم، وكان له حضور مكثف في برنامج «شعراء القبائل»، الذي كان يبث في ذلك الوقت من تلفزيون أبوظبي، والذي شكل حالة شعرية مزدهرة، واستضاف العديد من الأوجه الشعرية المهمة في الإمارات، وكان الظهور فيه ميزة شعرية وسمعة جماهيرية كبيرة، ومما هيأ له تلك المكانة أنه كان منشداً حسن الصوت، وشاعراً شعبياً رفيع المستوى، يمتلك الجرأة لتناول القضايا الاجتماعية التي تهم الناس، ويلح في شعره على القيم الإنسانية والنبل الأخلاقي، وعلى التواضع والتسامح، فلذلك لقي شعره استحساناً وقبولاً واسعين، وقد كرّم صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الصواية لجهده وعطائه في مجال الإبداع الشعبي في عام 1983، وكرّمه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي في عام 1992.

لا ينطفئ النهار ولا يذوب الليل

غالية خوجة
كاتبة وشاعرة ـ سوريا

تشرق الكلمات ريحاً متعبدة كلما ذكرت الشمس اسم القدس، وهذا ما يحدث منذ الأزل.

أمّا ما يحدث الآن، وبعد الآن، فهو ما تتراشقه أضواء المعاني بين الأزمنة والأمكنة، وهذا ما اعتاده الرضيع والعجوز والفتاة، وما اعتادته الأيام المزروعة أشجاراً تتداولها الحكايات والجدات والأحفاد، فلا ينطفئ النهار ولا يذوب الليل، بل تظل الأبجديات تمارس إسراءاتها، وتظل الشروقات مطلة من مغارة بيت لحم، وتظل أرواح المآذن مجتمعة مع أرواح الكنائس، وكذا تتفتّح الضمائر شموساً، ولا تتفرق موجة عن موجة، ولا تفترق لحظة عن لحظة، بل تزداد الجذور التصاقاً بالأرض، وتزداد النبضات استعماقاً بالتربة، وترتفع السماء إلى ما لا نهاية.

وفجأة، تبرز من هذا المشهد لوحة صامتة ناطقة، تخرج ألوانها عن النص، وتصير شخوصاً تتراشق بالثلج، وتركض بين الجبل والبحر، ثم تدخل المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وتصلي.

هناك، تحت المطر والشمس، مازال الأعداء يهدمون المعابد والصوامع والأرواح، فتذرف الحجارة دموعها مع دمائها الجديدة، ويخرج القمر عن النص، وتبكي الرؤى، والفلسطينيون يبكون، يتحدون، يرشقون المحتل بالحجارة والأيام والسنين، يرشقون المحتل بأحلام أطفالهم الذين سيولدون.

أذان الفجر يرتفع ساقياً الأرواح العطشى، والشفق يتوضأ، وقبة الصخرة تلمع مع الشعاع الأول للوجود، فيدخل النهار من بوابات الزمان، ويجلس يتيماً في الركن القصيّ من الأوان، وتبدأ المواكب زحفها نحو أكثر من سبعين سنة ماضية، وتبدأ المراكب تحليقها نحو سبعين سنة قادمة، فلا تقف المسافات عند حدود، ولا تنتهي النهايات المتشبثات بالإيقاع، وتظل الأبجدية بارزة في التربة القديمة، كما تبرز الأعشاب اليتيمة التائهة في الصحارى، بينما تلمع أصوات الصخور المتحاورة عن القسوة: أين القلوب؟ منذ متى جفت منها الرحمة؟ منذ متى ماتت فيها الحياة؟

صمتت الغيمات قليلاً، وشردت الرياح بحركة الألوان التي مازالت ترسم اللوحة على نافذة شرفتي، ثم تسألني أمطار لن تسقط أبداً: متى ستجف النزاعات التي لا تجف؟ ومتى ستلمع القدس بأحرف جديدة من ورد وأشجار وتفاصيل وعصافير وشخوص دفترهم أحلامهم وهم يرددون مع محمود درويش: «على هذه الأرض ما يستحق الحياة»؟

مسجد البُكيرية بصنعاء

من روائع العمارة العثمانية في اليمن

د. محمد أحمد عبدالرحمن

كلية الآثار - جامعة الفيوم

يُعدّ مسجد البُكيرية من أروع المباني التي شُيدت خلال الحكم العثماني في اليمن، فهو يَقف شاهداً على مدى الازدهار المعماري والفني في العصر العثماني في اليمن، ويَقع مسجد البُكيرية في حارة الميدان[1] في الجهة الشرقية من صنعاء. شكل (1)

المُنشئ: هو حسن باشا الذي تَولى حكم اليمن عام 988هـ/ 1580م، وتُعد فَترة حُكمه من أقوى فترات الحكم العثماني في اليمن[2]؛ نظراً للجهود التي بَذلها في إحكام سيطرة العثمانيين على اليمن، واستمر والياً على اليمن حتى عام 1013هـ/ 1604م[3].

وتَعدّدت الآراء في تَسمية هذا المسجد؛ فيَذكر المؤرخ الحُجري في تَسميته بالبُكيرية نِسبة إلى بكير آغا مَولى حسن باشا، الذي كان يُحبه حباً جماً، فلما مات حزن عليه، ودَفنه شرق هذه القبة، ثم عمّر المسجد للصلاة وسمّاه باسمه[4]، ويَذكر المؤرخ ابن الحسين في سبب تسميته نسبة إلى مُتولي بنائه وهو بَكير آغا[5].

تاريخ الإنشاء: تُجمع المَصادر التَاريخية على أنّ تَاريخ إنشاء المسجد عام 1005هـ/ 1597م[6]، وسُجل ذلك في شريط كتابي أسفل طاقية المحراب مَضمونه أبيات شعرية تُؤرخ بناء المسجد ونصها كالآتي:

وزير كريم غدا حسنا أفاض الندا
وفي فتح كل الملك أحيا وأفنى العدا
بنى جامعاً للإله وطرازه عسجداً
فكم عابداً زاهداً به ودّ أن يُعبدا
وأشرق أنوار القبول لهم فيهم صدقاً بدا
وفي الفتح تاريخه تراهم ركعاً سجداً 1005هـ

وقد سُجل تاريخ المسجد بحساب الجُمل، وذلك بعد كلمة (تاريخه) في جملة «تراهم ركعاً سجداً» وبإرجاع كل حرف لمَدلوله العددي كالآتي:

ت	ر	أ	هـ	م	ر	ك	ع	ا	س	ج	د	ا
٤٠٠	٢٠٠	١	٥	٤٠	٢٠٠	٢٠	٧٠	١	٦٠	٣	٤	١

شكل (1) موقع مسجد البُكيرية - برنامج «غوغل إيرث»

وعند جمع القيمة العددية لهذه الحروف يكون تاريخ المسجد هو 1005هـ (1597م).

مُسميات مسجد البُكيرية: عُرف بمُسميات عدة منها؛ (المدرسة الوزيرية)، حيث كانت مُخصصة للتدريس[7]، وأطلق عليها البعض اسم (الجامع أو المسجد الحنفي)؛ حيث كان مُخصصاً لتدريس المذهب الحنفي، كما عُرفت (بالقبة)[8]، والسبب في تعدد هذه المُسميات؛ أن المسجد كان مجمعاً معمارياً[9] يَضُم مسجداً ومدرسة وقبة ضريحية.

الوصف المعماري لمسجد البُكيرية

يَتبع تخطيط مسجد البُكيرية الطراز العثماني؛ ويَتكون من قسمين، الأول مُغطى، وهو بيت الصلاة، والثاني مكشوف، وهو الصحن، بالإضافة إلى المُلحقات المعمارية الأخرى. شكل (2)

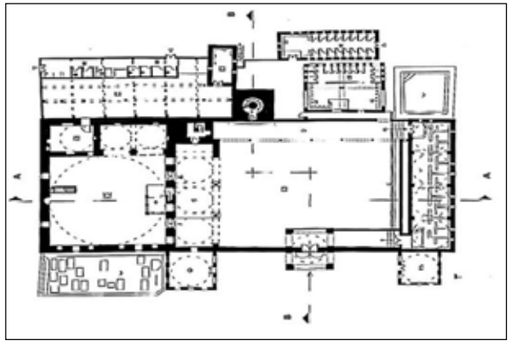

شكل (2) المسقط الأفقي.

المصدر، منظمة العواصم، أسس التصميم المعماري، ص 14

المدخل الرئيس: وهو مدخل بارز يَتوسط الواجهة الغربية، ويَتكون من كتلة مربعة تَعلوها قبة ضحلة، ويُتوجها صف من الشرّافات الثلاثية. لوحة (2)

لوحة (1) مسجد البُكيرية من الخارج - الباحث

بَيْت الصلاة: ويَشغل مساحة مربعة، تعلوه قبة مركزية تَقوم على الحنايا الركنية، ويتوسط كل حِنية عقد مفصص يُزخرفه حِطات من المقرنصات، ويَفتح في الجِدار الشرقي لبيت الصلاة رواق مُغطى بقبتين مقامتين على مثلثات كروية. ويَشتمل بيت الصلاة على عدد من العناصر المعمارية المهمة:

القبة المركزية: هي تحفة فنية رائعة بما فيها من الزخارف الجصية الملونة والمُذهبة[10]، ويُزين قطب القبة جامة كبيرة، يَدور حولها شريط كتابي لآيات قرآنية من سورة الحشر آية 22، 23 مُنفذة بخط الثلث نصها: لوحة (3)

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيم*هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ المتكبر}.

المحراب: وهو حِنية نصف دائرية ويَتوسط الجدار الشمالي، ويَكتنفه عمودان أسطوانيان رخاميان، ويَشغله من أعلى نصف قبة مخروطية يُزخرفها حطات من المقرنصات لوحة(4)، ويُزخرف باطن الحنية ثلاثة أشرطة كتابية بخط الثلث مضمونها: **الشريط الأول/** من أعلى نصه الآية 3 من سورة الحديد، {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عليم}، أما **الشريط الثاني/** شريط كتابي فيه أبيات من الشعر تُؤرخ للمسجد سبق وصفها عن تأريخ المسجد، **والشريط الثالث/** يَأخذ شكل جامة بيضاوية بها كتابة نصها «تاريخ تعمير هذا الجامع اللامع سنة 1297»، ويَدنوه توقيع السلطان عبدالحميد «غازي عبدالحميد الثاني» وهذا النص من إضافات السلطان عبدالحميد الثاني[11]، بعد تَجديده للمسجد في 1297هـ/1879م. لوحة (5)

المنبر: وهذا المِنبر تُحفة فنية رائعة، ولا يوجد مثيل له في اليمن، وهو من الرخام، ويتكوّن من باب المقدم الذي

لوحة (2) المدخل الرئيس - الباحث

لوحة (3) الجامة الدائرية بباطن قبة بيت الصلاة – الباحث

لوحة (4) المحراب - الباحث

يَعلـوه صفـان مـن المقرنصـات، يَعلوهـا صـف مـن الأوراق النباتيـة الثلاثيـة، ويَغلـق علـى فتحـة بـاب المقـدم مِصراعـان مـن الأبـواب الخشـبية الرائعـة، ويُـؤدي بـاب المقـدم إلى سـلم مـن سـت درجـات يُوصـل إلى جلسـة الخطيـب، وعـلى جانبـي بـاب المقـدم ريشـتا المنـبر، ويعلـو جِلسـة الخطيـب الجوسـق الـذي يُتوّجـه قبـة رخاميـة تأخـذ الشـكل المخروطـي[12]. لوحـة (6)

دكـة المبلـغ: أطلقـت عليهـا بعـض المراجـع مصطلـح «المكبريـة»؛ وكانـت تُسـتخدم لجلـوس المُبلغيـن الذيـن يَقومـون بتَرديـد جمـل الإمـام أثنـاء الصـلاة لتَبليغهـا إلى الصفـوف الخلفيـة، وهـي أيضـاً مـن تَجديـدات السـلطان عبدالحميـد الثانـي[13]، وتَقـع في منتصـف الجـدار الجنـوبي، وتَرتكـز عـلى ثلاثـة أعمـدة رخاميـة تَحمـل أربعـة عقـود نصـف دائريـة. لوحـة (7)

ثانيـاً/ الصحـن: ويَقـع إلى الجنـوب مـن بيـت الصـلاة، وهـو مسـتطيل الشـكل، ويُحيـط بـه رواقـان متعامـدان؛ الـرواق الشـمالي لوحـة (8)، ويتقـدم بيـت الصـلاة، وهـو سـقيفة تَطُـل عـلى الصحـن مـن خـلال بائكـة مـن ثلاثـة عقـود مُدببـة تَرتكـز عـلى عمودين حجريـين، ويُغطـي هـذه السـقيفة ثـلاث قبـاب، ويُزخـرف واجهـة هـذا الـرواق لـوح رخامـي عليـه الطغـراء[14] الخاصـة بالسـلطان عبدالحميـد الثـاني، وأسـفلها كلمـة «الغـازي»، كـما يوجـد لـوح مشـابه للسـابق عليـه أبيـات شـعرية تُـؤرخ إتمـام تَجديـد المسـجد عـلى يـد السـلطان عبدالحميـد، ونصهـا: شـكل (3)

ذا جـامـع تعميـر جـامـع للفتـح والنصـر لـذاك النجيـب
عبدالحميد الندى سـلطانـا سـيف رسـول الله ذاك الحبيـب
لـذ أتـى تـاريـخ إتمـامـه نصر من الله بفتح قريب 1298هـ

وسُـجل تاريـخ التجديـد هنـا بحسـاب الجُمـل بعـد كلمـة (تاريـخ إتمامـه) في عبـارة «نـصر مـن اللـه بفتـح قريـب»، ويُعـادل عـام 1298هـ/1880م، ولهـذا الـرواق أهميـة كبـيرة؛ نظـراً لزخارفـه الجصيـة الرائعـة عـلى القبـاب مـن الداخـل، وعـلى مناطـق انتقالهـا المتمثلـة في المثلثـات الكرويـة، وتعكـس براعـة الفنـان وقدرتـه عـلى التنويـع بـين الزخـارف النباتيـة والهندسـية والكتابيـة التـي تُعـبر عـن الطابـع اليمنـي. لوحـة (9)

لوحة (5) الأشرطة الكتابية بباطن المحراب – الباحث

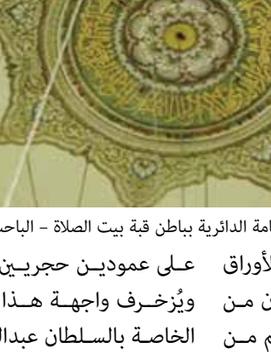

لوحة (6) المنبر الرخامي - الباحث

لوحة (7) دكة المبلغ - الباحث

لوحة (8) الرواق الشمالي من الصحن - الباحث

لوحة (9) الزخارف الجصية التي تُزخرف قباب الرواق الشمالي - الباحث

لوحة (10) المئذنة - الباحث

أمـا الـرواق الشرقـي؛ فيمتـد بامتـداد الصحـن، ويَتكـوّن مـن رواق مـن بائكـة واحـدة مـن سـتة عقـود نصـف دائريـة تَسـتند إلى خمسـة أعمـدة بسـيطة، يُـؤدى في ركنـه الجنـوبي الشرقـي إلى المطاهـير، ويُقصـد بهـا أماكـن الوضـوء، كـما يَفتـح بـه بـاب صغـير يُـؤدي إلى المئذنـة.

المِئذنـة: وتُعتـبر مـن المـآذن الرائعـة في صنعـاء، وتقـع منتصـف الضلـع الشرقـي للصحـن تقريبـاً، ويبلـغ ارتفاعهـا 42م[15] وتتكـوّن **مـن أجـزاء عـدة؛** القاعـدة: وهـي قاعـدة ضخمـة مربعـة بُنـي نصفهـا السـفلي مـن الحجـر، وأُكمـل بَاقيهـا بالآجـر، ثـم بـدن طويـل قُسـم إلى قسـمين الأدنى منـه؛ مثمـن الأضـلاع، أمـا الأعـلى فمتعـدد الأضـلاع مـن 16 ضلعـاً، وتعلـوه شرفـة المـؤذن، وهـي مُضلعـة الشـكل، وتَسـتند إلى حِطـات مـن المقرنصـات، ويَعلوهـا جوسـق المئذنـة، وهـو عبـارة عـن بـدن صغـير مضلـع يتكـوّن مـن 16 ضلعـاً[16]. لوحـة (10)

الإضافـات والتجديـدات: نظـراً لأهميـة مسـجد البُكيريـة وقيمتـه المعماريـة والفنيـة، فقـد كانـت محـط اهتـمام السـلاطين والـولاة العثمانيـين، لأنهـا تَعكـس تأثـير الأتـراك العثمانيـين الذيـن حكمـوا اليمـن في مجـال العـمارة والفنـون.

1- حـارة الميـدان مـن أكـبر الحـارات في ميـدان قصـر السـلاح بصنعـاء، وبهـا العديـد مـن المنشـآت المعماريـة كحـمام الميـدان الـذي بنـاه حسـن باشـا بجـوار مسـجد البكيريـة وأوقفـه عليـه. أحمـد الحـاضري، فـن وهندسـة البنـاء الصنعـاني، الهيئـة العامـة للكتـاب، صنعـاء، ط1، 2006م، ص31.

2- سـيد سـالم، الفتـح العثـماني الأول لليمـن 1538-1635هـ دار الأمـين للطباعـة والنـشر، القاهـرة، ط5، 1999م، ص332.

3- المحبـي (محمـد أمـين بـن فضـل اللـه بـن محـب الديـن ت1111هـ/1699م)، خلاصـة الأثـر في أعيـان القـرن الحـادي عـشر، ج3، دار صـادر، بـيروت، د.ت، ج2، ص74.

4- الحجـري (محمـد بـن أحمـد ت1380هـ/ 1960م)، مسـاجد صنعـاء عامرهـا وموفيهـا، إصـدارات وزارة الثقافـة والسـياحة بصنعـاء، 2004م، ص20.

5- ابـن الحسـين (يحيـى بـن الحسـين بـن القاسـم بـن محمـد بـن عـلي ت1100هـ/1688م). غايـة الأمـاني في أخبـار القطـر اليـماني، تحقيـق سـعيد عاشـور، دار الكتـاب العـربي للطباعـة والنـشر، القاهـرة، 1968م، ص769.

6- ابـن الحسـين، غايـة الأمـاني، ص769، إسـماعيل الأكـوع، المـدارس الإسـلامية في اليمـن، منشـورات جامعـة صنعـاء، صنعـاء، 1980م، ص282-283.

7- الجرافي، المقتطف، ص103.

8- الحجري، مساجد صنعاء، ص20.

9- تُعتـبر فكـرة المجمعـات المعماريـة إحـدى مُميـزات العـمارة السـلجوقية، وهدفهـا رغبـة الأشـخاص في تخليـد ذكراهـم مـن خـلال بنـاء عمائـر متنوعـة الوظائـف، ويُعتـبر الوزيـر السـلجوقي نظـام الملـك هـو أول مـن شـجّع عـلى انتشـار هـذه الظاهـرة. منـى بـدر، أثـر الحضـارة السـلجوقية في دول شرق العـالم الإسـلامي عـلى الحضارتـين الأيوبيـة والمملوكيـة بمـصر، 3 أجـزاء، مكتبـة زهـراء الـشرق، القاهـرة، ط1، 2002م، ج2، ص ص99 113-.

10- مصطفـى شـيحة، مَدخـل إلى العـمارة والفنـون الإسـلامية في الجمهوريـة العربيـة اليمنيـة، وكالـة اسـكرين، القاهـرة، ط1، 1987م، ص105.

11- هـو ابـن السـلطان عبدالمجيـد، ولـد عام1258هـ/ 1842م، وتـولى العـرش خلفـاً لأخيـه مـراد في عـام 1876م، وكان شـخصية قويـة منـذ صغـره، نشـأ متدينـاً حريصـاً عـلى أداء الصـلاة في أوقاتهـا، وتُـوفي 1337هـ/1918م. محمـد حـرب، العثمانيـون في التاريـخ والحضـارة، سلسـلة دراسـات عثمانيـة(1)، المركـز المـصري للدراسـات العثمانيـة وبحـوث العـالم الـتركي، القاهـرة، 1994م، ص28: 42.

12- الحجـري، مسـاجد صنعـاء، ص20، ربيـع خليفـة، البكيريـة المسـجد والمدرسـة، مجلـة الإكليـل، العـدد الأول، السـنة الخامسـة، 1407هـ/1987م، ص134، ص137.

13- Renold Lewcock, The Old Walled City of Sana'a, UNISCO, Printed in Belgium, second Impression, 1986, p.88

14- الطغـراء كلمـة تركيـة مـن (توغـرول) أي الصقـر الفاتـح جَنَاحيـه، ومعناهـا توقيـع الأمـير؛ فهـي علامـة مخصوصـة تَحتـوي اسـم السـلطان وتُرسـم عـلى الفرمانـات والقوانـين، وكل أنـواع الوثائـق الرسـمية. للمزيـد عـن الطغـراء، محمـد عـلي بيومـي، الطغـراء العثمانيـة، ماجسـتير، كليـة الآثـار، جامعـة القاهـرة، 1985م، ص12.

15- عـلي سـيف، مـآذن مدينـة صنعـاء حتـى نهايـة ق12هـ/ 18م (دراسـة أثريـة معماريـة)، إصـدارات وزارة الثقافـة والسـياحة، صنعـاء، 2004م، ص122.

16- علي سيف، مآذن مدينة صنعاء، ص120-121.

الرحلة الحجية

د. منّى بونعامة
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

الحج فريضة دينية، وشعيرة إسلامية، أوجب الله سبحانه وتعالى أداءها على من استطاع إليها سبيلاً، منذ أمر نبيه إبراهيم الخليل، عليه السلام، ببناء البيت العتيق، ليكون مقصداً يؤمه الناس من كل فجّ عميق، ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما زرقهم من بهيمة الأنعام.. ثم ليقضوا تفثهم، وليوفوا نذورهم وليطّوفوا بالبيت العتيق.

منذ ذلك الحين كان للعرب تقاليد وطقوس تصاحب أداء هذا المنسك الديني، فكانوا يفدون إلى الحج في أشهرهم المعلومة، بعد الانصراف من سوق عكاظ، ويهلّون من مواقيتهم، كما عرفوا بتقديسهم هذه الشعيرة الدينية قبل الإسلام، ولهم قصص وحكايات وأشعار كثيرة تغنى فيها الشعراء بالحج، وهاموا وجُداً بالمشاعر المقدّسة، وسطّروا ما جادت به قرائحهم من شوق وتوق وحنين، سار بها الركبان، وتناقلها الناس في كل زمان ومكان، ويضيق المقام عن سردها وعرضها. وتشكّلت على ضوئها طقوس وتقاليد راسخة، درجت عليها المجتمعات قديماً، وحافظت عليها إلى يوم الناس هذا.

كما ازدهر على غرار هذه الرحلة الحجية المباركة فن عربي أصيل، وأدب عريق عُرِف بأدب الرحلة، الذي كان نمطاً قائماً بذاته، لكن جوهر الرحلات الحجية ديني محض، وليس شيئاً آخر، حيث كان الحاج، عالماً أو فقيهاً أو أديباً، يعمد إلى تدوين رحلته، وتوثيق ذكرياته ويومياته التي كان يدوّنها، بدءاً من التحضير للحج، وأخذ المستلزمات الضرورية، ووداع الأهل والصحب والخلان، والسير في الركب الحجي الذي كان يجوب الدروب والمسالك الوعرة، والمحفوفة بالخطر في أغلب الأحيان، حتى إن الإنسان لا يأمن فيها على نفسه وماله؛ لأن الطريق إلى الديار المقدّسة لم تكن سهلةً أبداً. وقد كان تدوين هذا النمط من الرحلات غايته في الأساس التحدث بنعمة الله التي يرى الرحالة المسلم أنها اكتملت لديه بأداء الحج والعودة سالماً إلى أهله، ويستشف ذلك من الكثير من الرحلات الحجية التي دوّنها الحجاج المسلمون من شتى بقاع الدنيا، وضمّنوا أشواقهم وحنينهم إلى بيت الله الحرام، وما شاهدوه في رحلتهم من أمور عجيبة وغريبة، وثّقوها في أسفارهم التي أصبحت مصادر مهمة للحياة الثقافية في المملكة العربية السعودية خلال القرون الماضية.

وفي الحج تلتقي أفئدة المسلمين، وتتواصل ثقافات الشعوب في أيام معدودات، ويتناقلون تجاربهم، وهو مناسبة كبرى للصلات الدينية والعلمية والحضارية بين العلماء من مختلف الأماكن، والتعارف بين شعوب بلاد الإسلام الواسعة؛ ولذلك ظلت الرحلات الحجّيّة بالغة الأهمية في نقل الأخبار، بين أمصار دار الإسلام.

cultural practices that still stuck in the minds of UAE society to today. We try to provide an integrated and comprehensive picture on this interesting subject that we live these days.

In this issue, we review the activities of the Sharjah Institute for Heritage, highlighting its role in contributing to the importance of the Institute and its leading role in spreading the heritage culture. We also examine visit and participation of the Institute within the Sharjah delegation at the 25th edition of São Paulo International Book Fair in August. Sharjah has become a special guest of honor in the fair.

In this issue we continue to celebrate the late Sheikh Zayed bin Sultan Al Nahyan, may God rest his soul, through a reading of the poem «Hello, Hala Hay Alshahamah». It is immersed in the depths of poetic details, and transparent and compassionate language.

Also, this issue discusses the poem entitled «O My heart» by the Emirati poet Mohammed Al Matroushi, which was sung by the late Emirati singer Harib Hassan. It was immortalized among the folk songs in the memory of the Emirati people. This discussion shows the unique aesthetics of the poem and the melody.

We also review (Ayala Al Ain), a popular art of the UAE folk art, somewhat similar to the art of the marine Ayala that we talked about in a previous article, but they differ greatly in terms of performance and rhythm.

The issue includes a series of cultural and heritage themes, including a study entitled: «The late Sheikh Zayed bin Sultan Al Nahyan in the International Documentary Films», a review of the Diwan «Zayed» by HH Sheikh Mohammed bin Rashid Al Maktoum, Vice President and Prime Minister of the UAE and Ruler of Dubai, a study on the experience of the late poetess Aousha Bint Khalifa Al Suwaidi, may God have mercy on her, Stories of Hamour, Journey of Fleeing the Heat, Yemeni Heritage in the Art, AL Hayek: A Philosophy of Moroccan Woman, The Incense in the Arab heritage and Al-Bakiriyya Mosque in Sanaa, a masterpiece of Ottoman architecture in Yemen.

The issue also covers many important cultural and heritage topics, especially those related to the authenticity of rich UAE heritage. It symbolizes the connection between the past and present, and reflects the extent to which the Emirati man adheres to the heritage of his fathers and grandfathers and openness to the new experiences.

The Traditions of Hajj in the UAE Heritage

The pilgrimage (Hajj) in the Arab memory has an ancient customs and rituals inherited by societies since ancient times, through which they showed their reverence for this sacred Islamic duty, and their adherence to it and keenness to perform it despite all the dangers and obstacles that hindered the pilgrims because of the rough roads and fears that accompanied the journey. The popular memory has many rituals that passed them on to the next generations, starting from preparing for the Hajj and buying the necessary supplies of Ihram clothing and others, and then farewell to parents and relatives and preparing for the trip of Hajj. In this issue, we devote a special report about: Hajj in the UAE memory.. stories and memories, and we examine the rituals of Hajj and its traditions and the